ثانياً : العقــيدة

فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية
(حقيقته وأهميته وحجيته)

إعداد
د. عبد الله بن عمر الدميجي
كلية الدعوة / جامعة أم القرى

فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية

(حقيقته وأهميته وحجيته)

ملخص البحث:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... أما بعد:

فهذا البحث الموسوم بـ (فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية حقيقته وأهميته وحجيته) للباحث/ د. عبد الله بن عمر الدميجي ـ عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى ـ يهدف إلى تسليط الضوء على قضية «فهم السلف الصالح» للنصوص الشريعة بعد أن ظهرت أقلام تنادي بعدم ضرورة التزامنا بفهم أقوام مضى عليهم أربعة عشر قرنًا لهذه النصوص. وإنما لابد من إعادة فهمها فهمًا جديدًا يواكب الحياة المعاصرة وينسجم مع متطلباتها، فظهرت دعوات تجديد الخطاب الديني والخطاب السلفي على وجه الخصوص وإعادة قراءة النص وظاهرة التيسير المعاصر والسلفية الجديدة... الخ. فجاء هذا البحث في ثلاثة فصول وخاتمة، الأول كان عن حقيقة فهم السلف، والثاني عن أهميته وعناية العلماء بتدوينه، أما الفصل الثالث فكان عن حجيته والأدلة على ذلك وثمرات الالتزام به.

وكان من أبرز نتائج البحث أن للسلف الصالح من الخصائص والميزات التي لا تجتمع في غيرهم ما يوجب تقديم فهمهم عن سائر فهوم المتأخرين كسلامة مصادرهم في التلقي ومعاصرتهم الوحي والتنزيل وعهد النبوة وسلامة لغتهم وأفهامهم وحرصهم على العلم وفهمه والعمل بما علموه مما أورثهم مزيد فهم لا يشاركهم فيه غيرهم.

واقتضى هذا أن المتعين على طالب العلم المريد للحق الوقوف على فهم السلف للنصوص الشرعية والاعتبار به بعد وقوفه على تلك النصوص. كما تبين أن من أكبر أسباب الابتداع في الدين والانحراف عن المنهج الحق (الوسط) والوقوع في الغلو والإفراط أو في الجفاء والتفريط قديمًا وحديثًا هو الانحراف في فهم النصوص الشرعية والتفلت من فهم السلف الصالح لها. وهذا ما يؤول إلى تعطيل النصوص ودلالاتها الشرعية والاختلاف عليها. في مقابل أن فهم السلف الصالح هو السبيل الوحيدة لمعرفة مراد الله تعالى ومراد رسوله ^ الحاسم لمادة الابتداع، الضابط في معرفة السنة من البدعة، العاصم من الفرقة والاختلاف، المورث للطمأنينة النفسية، القاضي على عوامل الشك والارتياب. هذه أبرز نتائج هذا البحث وهناك نتائج أخرى مذيلة في آخره، نسأل الله عز وجل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم نافعًا لعباده المؤمنين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

The Understanding of Venerable Muslim Ancestors for Islamic Texts (Its Reality, Significance and Evidences)

Abstract :

Praise be to Allah alone; blessing and peace upon whom there is no Prophet.

This research, which is titled (the understanding of venerable Muslim ancestors for Islamic texts (Its reality, significance and evidences), is authored by Dr. Abdullah Omar AlDimaiji, a teaching staff member at Umm Al-Qura University. It aims at shedding light on the issue of (the understanding of venerable Muslim ancestors for Islamic texts), especially after the emergence of writers whose claim that we should not necessarily abide ourselves with the comprehension of these people, who lived fourteen centuries ago, for these texts; but that it is essential that we re-comprehend these texts in a new manner that copes with temporary life and harmonizes with its requirements. In fact, we noticed that the appearance of disturbing new calls for renewing the religious discourse in general and discourse of venerable Muslim ancestors in particular, for re- reading of texts as well as for the spreading of easiness phenomenon and new version claiming the understanding of venerable Muslim ancestors. This research is divided into three chapters and a conclusion; the first on the realty of the understanding of venerable Muslim ancestors for Islamic texts, the second on its significance and the care given by scholars for its recording and third on evidences as well as the fruits expected to be reaped by abiding to it.

The most significant result of the research is that venerable Muslim ancestors had special characteristics that were not possessed by any one other than them, an act that makes it incumbent upon us to prefer their understanding to that of others who came after them in sequence for the following reasons:

- Their resources of knowledge acquisition, as well as language and comprehension were safe; they were present when the Qur'anic verses (Islamic texts) were revealed and they attended the sermons and guidance of the Holy Prophet when he was alive; they displayed due keenness in knowledge acquisition and understanding as well as applying what they learned, an act that guaranteed them more proper understanding which could not be matched by that of any other group of people.

This necessitates that any one seeking true knowledge must know and follow the understanding of venerable Muslim ancestors for Islamic texts after through review of such texts. It was indicated that the greatest cause for innovation in Islamic religion and for deviation from the true path (moderate), exercise of excessiveness and negligence, whether in the past or present, is the improper tendency in the understanding of venerable Muslim ancestors for Islamic Texts; as such erroneous comprehension is purported to discourage people from using such texts, invalidate their Islamic significances and create disagreement over them. However, it must be said that the understanding of venerable Muslim ancestors for Islamic texts is the only way for knowing what Allah Almighty and the Holy Prophet (May blessing and peace be upon him) wanted for us; and it is looked upon as a crucial element that fights innovation, controls the criteria in distinguishing Sunnah from the acts of innovation in religion, serves as safeguard against dispute, secures tranquility and abolishes suspicion. The above are the most significant results of the research; but there are other minor ones which are mentioned at the end of the research. We supplicate Allah Almighty to make this research pure for His sake and beneficial for His believing servants.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، ثم امتنَّ تعالى عليهم بأن بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فأنزل عليه كتابًا مفصلاً، تبيانًا لكل شيء، بلسان عربي مبين، وكلفه بيان ذلك الكتاب ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فبلغ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على البيضاء، ليلها ونهارها سواء، لا يزيغ عنها إلا هالك، ثم اصطفى تعالى خيار القرون ليكونوا لنبيه حواريين وأصحابًا يقتدون بهديه، ويستنُّون بسنته، يسمعون مقالته فيعونها، ويدركون مراد الله تعالى ومراد رسوله فيمتثلونه؛ إيمانًا منهم وتصديقًا، وعملاً وتطبيقًا، ودعوة وتبليغًا، وإن أشكل عليهم شيء سألوا عنه، حتى أكمل الله لهم الدين، وأتم عليهم النعمة، ثم تحمل الأمانة من بعدهم تلامذتهم الذين يلونهم في الفضل والخيرية الذين اتبعوهم بإحسان في العلم والعمل ثم أتباعهم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين.

وقد تميزت هذه الحقبة السلفية المباركة التي شهد لها النبي ﷺ بالفضل والخيرية على سائر القرون بمشاهدة التنزيل ومعاصرة الرسول ﷺ في أولهم، وفي نقاء النبع وصفائه قبل مرحلة الاختلاط والعجمة اللسانية والفكرية، وقبل انتشار الفرق وفشو البدع.

ثم خلف من بعدهم خلْف، فارقوا الجماعة، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، فخرجت الخوارج، ورفضت الرافضة، واعتزلت المعتزلة، وانشقوا عن جماعة المسلمين، فأصبحوا يفهمون كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بفهم غريب مخالف لفهم السابقين الأولين من حملته ورواته ونقلته، بِفهمٍ مبنيّ على جهل مشوب بهوى، أو هوى مصحوب بجهل، فهموا كلام الله وكلام رسوله ﷺ على مرادهم هم، لا على مراد الله ورسوله.

فكان من أكبر أسباب الافتراق والمُروق عن الجادة الانحرافُ عن فهم السلف، فهم الدليل أو فهم المدلول، واستمر ذلك شعارًا متوارثًا، فارقًا بين السنة والبدعة، بين أهل الاتباع، وأهل الابتداع.

لذلك أصبح من أبرز قواعد المنهج السلفي على مر العصور في التلقي والاستدلال، ومن أهم الأصول العلمية لفهم النصوص الشرعية ودراستها، الأخذ بفهم السلف الصالح للنصوص، لأن صحة فهم النصوص الشرعية هي الركيزة الأساسية لصحة الاستدلال، ولا يستطيع المرء أن يعرف مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ إلا حينما يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح... وصحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده، بل ما أُعطِي عبْدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضلَ ولا أجل منهما، بل «هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت فهومهم وقصودهم». ولذا عدّ ابن القيم الفهم الصحيح عن الله ورسوله عُنوانَ الصِّدّيقِيَّة ومنشورَ الوَلاية النبوية، وفيه تتفاوت مراتب العلماء حتى عدّ ألف بواحد؛ لأن «صحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يَمِيزُ به بين الصحيح والفاسد، والحقِّ والباطل، والهُدَى والضلال، ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى»[1].

ثم في هذه العصور المتأخرة، عصور غربة الدين ظهرت دعوات متفرقة من هنا وهناك، طغت عليها روح الانهزامية والشعور بالنقص والدونية والانبهار بما عند الأعداء تدعو إلى إعادة فهم النصوص الشرعية فهمًا جديدًا يواكب الحياة المعاصرة وينسجم مع متطلباتها. فظهرت دعوات تجديد الخطاب الديني والخطاب السلفي على وجه الخصوص وإعادة قراءة النص وظاهرة «التيسير المعاصر» والسلفية الجديدة وغيرها. وتدرعوا بموروث الفرق والبدع القديمة، وشبهات العلمانيين والمستشرقين الحديثة، فاختلفت الأفهام واضطربت الأفكار، ولُبِّس على الناس ما نزل إليهم من ربهم، وأصبح حرام الأمس حلال اليوم، وما كان بدعة مبتذَلة فإذا هو سنة متبعة، وأصبح الداعي إلى فهم السلف والتمسك به من المتشددين التقليديين الجامدين:

فكانت هذه المحاولة لكشف اللثام وتجلية الحقيقة عن (فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية) واقتضت طبيعة البحث أن يكون في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عن تعريف العنوان مفردًا ومركبًا وبيان حقيقة فهم السلف.

والثاني: عن أهميته وعناية الأمة بذلك.

أما الثالث: فكان عن أدلة حجيته وثمراته[٢].

فإن وُفقت فهو المرجو والمؤمل، وذاك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى فذاك بسبب ذنبي وتقصيري، وأستغفر الله من الخطأ والزلل، كما أعوذ به من فتنة القول والعمل، وأسأله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويسدد فُهومَنا وعلومنا وسائرَ أعمالنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويومَ يقوم الأَشهاد ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

معنى " الفهم" والعلاقة بينه وبين العلم والفقه والتفسير

الفهم في اللغة: هو: «معرفتك الشيء بالقلب، فَهِمَه فَهْمًا وفَهَمًا وفهامة: علمه، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته»[٣].

قال ابن فارس: «الفاء والهاء والميم: علم الشيء، كذا يقولون علماء اللغة»[٤].

وفي التنزيل قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] أي: «علّمناه القضية»[٥] و«فقهناه القضاء الفاصل الناسخ الذي أراد الله تبارك وتعالى أن يستقر في النازلة»[٦].

وعن علي رضي الله تعالى عنه، قال: «... إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءةٍ لا تدبُّرَ فيها»[٧].

وقد بوَّب البخاري في صحيحه باب: «الفهم في العلم»، وذكر حديث ابن عمر لما سألهم النبيُّ ﷺ عن الشجرة التي مثلها مثل المسلم، فأراد ابن عمر أن يقول: هي النخلة، فإذا هو أصغر القوم فسكت، فقال النبي ﷺ: «**هي النخلة**»[٨]. قال الحافظ ابن حجر عند ذلك: «الفهم فِطْنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول أو فعل»[٩]. وعليه فالفهم هو: الإدراك، وهو ما تقرر في النفس من العلوم[١٠].

أما الفقه فهو: العلم بالشيء والفهم له. والفقه في الأصل: الفهم[١١]. يقال: «فَقُه: بالضم إذا صار الفقه له سجية، وفَقَه: بالفتح إذا سبق غيره إلى الفهم، وفَقِهَ بالكسر إذا فهم»[١٢]. قال الله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢] أي: ليكونوا علماء به.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١] أي ما نفهم كما قال القرطبي وغيره.

ودعا النبي ﷺ لابن عمه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال: «**اللهم فَقِّهْهُ في الدِّين**»(١٣) أي: فهمه(١٤). وقال: «**من يرد الله به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين**»(١٥).

قال الراغب: «الفقه: هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد. فهو أخص من العلم، قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٧٨]، والفقه: العلم بأحكام الشريعة.... وفَقِه: أي فهم»(١٦).

وقد جاء في وصف كلام النبي ﷺ أنه «كان فصلاً يفقهه كل أحد، لم يكن يسرده سردًا»(١٧). يفقه يعني: يفهمه.

قال ابن القيم: «الفقه هو: فهم المعنى المراد»(١٨).

وبهذا يتبين أن معاني ألفاظ الفهم والفقه والعلم متقاربة.

والفهم التام: هو ثمرة التدبر والتأمل بعد معرفة التفسير. ودائرة التدبر أوسع وأرحب من دائرة التفسير.

والتفسير هو الجزء المُعبر عنه من الفهم. وهو المتناقل عبر الأجيال بالرواية والكتابة، وهو الكاشف عن بعض فهم السلف لا كلِّه. والتفسير المنقول عن الصحابة قليل بالقياس إلى غيرهم، وليس معنى ذلك أن فهمهم دون فهم غيرهم ـ حاشا وكلا.

والفهم نوعان:

الأول: فهم ذهني معرفي: وهو المعنى الذي يفهمه المخاطب وتقوم عليه به الحجة، ويترتب عليه استنباط الأحكام وأنواع الدلالات، ويساعد على هذا الفهم أسباب النزول وسياق الآيات والنصوص الأخرى وتفسير الغريب ومعرفة المعاني واللغة وغير ذلك من أدوات المفسرين والوقوف على أقوالهم.

الثاني: **فهم قلبي إيماني**: وهو الذي ينتج عن تأمل القارئ للقرآن لما يمر به من آيات كريمة؛ يعرف معانيها ويفهم دلالاتها بحيث لا يحتاج معها أن يراجع التفاسير فيقف عندها متأملاً ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، إن كان من أهلها حمد الله، وإن كان من غير أهلها حاسب نفسه واستعتب(١٩).

والنوع الأول: هو الذي عبَّر عنه حبر الأمة رضي الله تعالى عنه في ذكره الوجه الأول والثاني من أوجه التفسير في قوله: «وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعمله إلا الله»(٢٠).

والنوع الثاني: هو الذي عناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما قيل له: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا. والذي فلق الْحبَّةَ وبَرَأ النَّسَمَةَ، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة...»(٢١).

والأول: آلته: علوم اللسان والعربية والمعاجم، وأساليب العرب والبلاغة ونحو ذلك. أما مصادره فكما تقدم.

والثاني: آلته: زكاة النفس وقوة الإيمان ورقة القلب.

وهذا يختلف الناس فيه اختلافًا كبيرًا، ففهم الصدِّيق رضي الله تعالى عنه للآية غير فهم أبي جهل لها مع أنهما يستويان في العربية وأساليبها. بل إن الإنسان لتَمُر عليه الآية في صفاء فكر وحضور قلب وقوة إيمان فيفهم منها من المعاني ما لم يخطر له على بال مع أنه قد يكون حفظها وكررها مئات المرات. بل إن بعض العامة ليفهم من الآيات في بعض الأوقات ما لا يفهمه أساطين اللغة وعلماء البلاغة. وهذا الفهم لا يتعلق بالحلال والحرام واستنباط الأحكام وغير ذلك كما في النوع الأول.

ولا يعني هذا التفسير الصوفي المسمى بالإشاري واعتقاد أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وما ينبني على ذلك من انحرافات(٢٢).

المبحث الثاني

معنى مصطلح "السلف"

معنى: السلف لغة:

السين واللام والفاء تدل على تقدم وسَبْق، ومن ذلك السلف الذين مضوا(٢٣). فالسلف في اللغة عبارةٌ تطلق على من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل(٢٤).

كما تطلق على معانٍ أُخر مقاربة، لكنها في أغلب استعمالاتها تدور حول معنى التقدم والمضي والسبق الزمني(٢٥).

وقد استعملت كلمة «سلف» في القرآن على المعنى نفسه في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي ما سبق وتقدم. ونحوه ما ورد في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله: ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦] أي: «... مقدمة يتقدمون إلى النار كفار قومك يا محمد من قريش، وكفار قومك لهم بالأثر»(٢٦).

كما استعمل اللفظ نفسه في السنة النبوية للدلالة على ذات المعنى كما في قولهﷺ لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها لما أخبرها بدنو أجله: «**نِعْمَ السَّلَف أنا لك**»(٢٧)، وقوله ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه: «**أسلمت على ما سلف من خير**»(٢٨). لما ذكر بعض الأعمال الصالحة التي كان يعملها في جاهليته.

كما ورد استعمال اللفظ في السنة بمعنى: القرض، وبيع السَّلَم، وهما يؤولان في نهاية الأمر إلى المعنى الأول من السبق والتقدم.

١) المعنى الاصطلاحي:

أما من حيث المعنى الاصطلاحي، فله إطلاقان:

الأول: **إطلاقه على حقبة زمنية معينة «المفهوم التاريخي للمصطلح»** ويدل عليه حديث عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٢٩).

ولذلك جاءت عبارات العلماء على تحديد السلف على أنهم:

- جمهور أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وهذا قول جماهير العلماء قديمًا وحديثًا(٣٠)، ومنهم من زاد فيه إلى عصر الإمام أحمد (ت٢٤١هـ). قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وفي زماننا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي (ت٢٠٤هـ) وأحمد (ت٢٤١هـ) وإسحاق (ت٢٣٨هـ) وأبي عبيد (ت٢٢٤هـ)...»(٣١). وقد أشار إليه الإمام الآجري(٣٢) من قبل وغيره من المتقدمين.

- وهناك من قصره على جيل الصحابة والتابعين(٣٣).

- ومنهم من قصره على جيل الصحابة فقط(٣٤). وهو استعمال التابعين كما سيأتي.

- وشذ من تجاوز به إلى من كان قبل الخمسمائة(٣٥).

والعمدة في ذلك الحديث المذكور آنفًا. لكن هذا يقتضي تحديد معنى (القرن) وكذلك عدد القرون التالية لقرن النبي ﷺ الموصوفة بالخيرية.

أما القرن في اللغة: فقد قال ابن الأعرابي: «هو الوقت من الزمان»(٣٦). وقال ابن الأثير: «القرن: أهل كل زمان»(٣٧). قال في اللسان: «الأمة تأتي بعد الأمة»(٣٨).

واختلف في المراد به اصطلاحًا على قولين:

١- منهم من حدده. واختلفوا في تحديده من عشرة أعوام إلى مئة وعشرين عامًا [٣٩]. والمشهور مئة عام، ويدل عليه حديث عبد الله بن بسر. قال: وضع النبي ﷺ يده على رأسي فقال: «**يعيش هذا الغلام قرنًا**» فعاش مئة سنة [٤٠].

٢- ومنهم من أطلقه. وهم في ذلك على أقوال منها:

أ- القرن هو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان [٤١]. مأخوذ من الاقتران، وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم [٤٢]. قال الحافظ: «وهذا أعدل الأقوال» [٤٣]. وعبَّر عنه بأنهم «أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة» وذهب إلى أن «مدة القرن تختلف باختلاف أعمار أهل كل زمان» [٤٤]. وعلى هذا فقرن قوم نوح يختلف عن قرن أمة محمد ﷺ.

ب- وقال الأزهري: «القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلَّت السنون أو كثرت» [٤٥]؛ ولذا قال السيوطي: «الأصح أنه لا ينضبط بمدة» [٤٦].

ج- وقال الحربي: «القرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد» [٤٧].

وهذه الأقوال متقاربة، ولعل أظهرها القول الأول، ويشهد له حديث النبي ﷺ: «**أعمار أمتي بين الستين والسبعين، وَأَقَلُّهُمْ من يَجُوزُ ذلك**» [٤٨]. كما يشهد له الواقع. فإن آخر أتباع التابعين موتًا كان سنة ٢٢٠هـ كما قال الحافظ: «واتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومئتين. وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا...» [٤٩].

وعلى هذا فقرن النبي ﷺ هم الصحابة. والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم [٥٠].

وقيل: قرنه: أصحابه والذين يلونهم: أبناؤهم. والثالث: أبناء أبنائهم.

وذهب شيخ الإسلام إلى تفصيل أكثر وهو أن الاعتبار في القرون الثلاثة بجمهور أهل القرن وهو وسطه، وجمهور الصحابة انقرضوا بانقضاء الخلفاء الأربعة. وجمهور التابعين انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة. وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية وأول الدول العباسية [٥١].

وهذا يُخَرَّج على قول الحافظ ابن حجر، فالصحابة اشتركوا في رؤية النبي ﷺ والتابعون اشتركوا في معاصرة الصحابة ورؤيتهم. وهكذا.

فَشَرُف الصحابة وفضلوا برؤية النبي ﷺ، كما شرف التابعون برؤية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، والتلقي عنهم، وشرف أتباعهم برؤية من رأى من رأى رسول الله ﷺ ، كما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان، فَيَغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**» [٥٢]. هذا الحديث فيه إشارة إلى معنى القرن المقصود.

أما عن عدد القرون المفضلة فقد قال عمران: «فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة» [٥٣] لكن قال الحافظ: «وجاء في أكثر الطرق بغير شك فيها ـ أي في عدد القرون ـ عن النعمان بن بشير عند أحمد، وعن مالك عند مسلم عن عائشة» [٥٤]. وفي البخاري ومسلم عن ابن مسعود من غير شك [٥٥].

فهما قرنان بعد قرن النبي ﷺ أو ثلاثة بقرنه عليه الصلاة والسلام.

وعلى هذا فالسلف بهذا المعنى هم جمهور أهل القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية. وهذا هو المقصود بالسلف في هذا المبحث.

واستعمال لفظ (السلف) وإطلاقه على الصحابة معروف عند التابعين، فقد أخرج البخاري في كتاب «الجهاد والسير» من صحيحه باب الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل: «وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة لأنها أجرى وأجسر[٥٦]»[٥٧]. وراشد بن سعد من التابعين[٥٨] فالسلف عنده الصحابة.

وأخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن عبد الله بن قهزاذ قال: سمعت علي بن شقيق يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: «دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف»[٥٩]. وعمرو بن ثابت من الطبقة الوسطى من التابعين، وهو معروف بالرفض[٦٠].

وعلى هذا السَنن: جرى البخاري فأخرج في كتاب: «الأطعمة»، باب: ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره. وذكر قول عائشة وأسماء أنهما صنعتا للنبيﷺ وأبي بكر سُفْرَةً، وساق حديث ادخار لحوم الأضاحي المشهور[٦١].

الثاني: **إطلاقه على منهج محدد غير مرتبط بزمن معين «المفهوم المنهجي»:**

ثم إن السبق الزمني ليس كافيًا في تعيين السلف المقتدى بهم؛ لأنه عاش في هذه القرون المفضلة من هم من سلف المبتدعة وأهل الأهواء، أمثال ذي الخويصرة في عهد النبي ﷺ، وصبيغ بن عسل في عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وظهور الخوارج في عهد علي رضي الله تعالى عنه، وكذلك بدأ التشيع والرفض على يد عبد الله بن سبأ في عهده رضي الله تعالى عنه، وظهرت القدرية في أواخر الصحابة على يد معبد الجهني (ت٨٠هـ).

وكان من زعماء المرجئة الأوائل غيلان الدمشقي (ت١٠٥هـ). وظهر التجهم على يد الجعد بن درهم (قيل: ت١٢٤هـ) أستاذ الجهم بن صفوان (ت١٢٨هـ) والاعتزال على يد واصل بن عطاء (ت١٣١هـ).

ولكنها كانت حالات فردية شاذة في أغلبها لا تمثل أهل تلك الحقبة الزمنية المباركة، وما إن يبرز شيء منها إلا ويقابل من الأمة ممثلة في ولاتها وعلمائها وأفرادها بقمعهم وردعهم وتفنيد شبههم وكف أذاهم عن المسلمين.

لذا كان من المستحسن تقييد ذلك المصطلح إما بـ (الجمهور) ليخرج منهم الشواذ، أو بوصف (السلف الصالح) ليخرج الطالح من أهل الأهواء، أو بالتقييد المنهجي بالالتزام واتباع الكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا قولاً وعملاً لذلك قال الإمام السفاريني رحمه الله: «المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهِد له بالإمامة، وعُرِف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف دون مَن رمي ببدعة أو شُهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء»[(٦٢)]. فمن تلبس بشيء من هذه الأهواء والبدع ونحوها فلا يُعد من السلف المقتدى بهم ولو عاش في تلك القرون المفضلة.

ويشهد لذلك قول الإمام الأوزاعي رحمه الله قال: «كتب إليَّ قتادة من البصرة: إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك؛ فإن أُلْفَةَ الإسلام بين أهلها جامعة»[(٦٣)]. يعني أن رابطة الاعتصام بالكتاب والسنة ومفارقة الأهواء وأهلها هي الجامعة بين أهل السنة وإن تباعدت بينهم الأوطان والأزمان.

ومع ذلك فإن لفظ (السلف) لا يعني القديم بإطلاق كما سيأتي بيانه لاحقًا إن شاء الله.

وبناء عليه فهناك من ربط مفهوم السلف بهذا المنهج وإن تأخر به الزمان، فمن التزمه فهو سلفي وإن كان في العصور المتأخرة، فأطلقت الدعوة السلفية على دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته، وعلى دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، وعلى كل من اتبع ذلك المنهج من المتقدمين والمتأخرين، ممن أحيا سنة السلف المتقدمين ودعا إلى الالتزام بما كانوا عليه من الفهم والعمل والاعتقاد.

ويعضد ذلك ما ورد في بعض روايات حديث الافتراق في بيان منهج الفرقة الناجية «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٦٤). فالنبي ﷺ لم يربط الفرقة الناجية بما كان عليه أهل حقبة زمنية محددة، وإنما بمنهج واضح محدد المعالم: وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم، وذلك يشمل ما كانوا عليه في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق... إلخ.

وعلى هذا المعنى جاز الانتساب إلى السلفية بمفهومها المنهجي. فمن التزم هذا المنهج قولاً وعملاً ظاهرًا وباطنًا فهو سلفي وإن تأخر به الزمان(٦٥). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا»(٦٦).

وقد يوصف بها الرجل إخبارًا عن حاله كما قال الذهبي عن الدارقطني: «لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًا»(٦٧).

ومصطلح السلف بهذا الاعتبار يرادف مصطلح «أهل السنة والجماعة» وهم: «المجتمعون على التمسك بالكتاب والسنة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى المتبعين لهم، ومن سلك سبيلهم في القول والعمل والاعتقاد إلى يوم الدين»(٦٨).

وحقيقة الانتساب إلى السلف الصالح تكون من جهتين:

١ ـ من جهة التزام منهجهم في التلقي والاستدلال.

٢ ـ ومن جهة القول بقولهم في مسائل أصول الاعتقاد التي تميزهم عن أهل الأهواء والبدع والتبري من مقالاتهم البدعية.

ولذا قال الإمام ابن المبارك فيما نقله عنه تلميذه البربهاري: «أصل الثنتين والسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة أهواء تشعبت الاثنتان والسبعون هوى: القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج. فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا

على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره، ومن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره، ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره. ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنة»(٦٩).

وهو بهذا ذكر رحمه الله بعض ما تتميز به هذه الفِرق، وإن كان عندها من البدع الأخرى ما هو أكبر مما ذكر.

لذا كان الكبار من علماء السلف المتقدمين ينصون عند ذكر عقائدهم على ما يقابل باطل كل قول أو فعل اشتهرت به طائفة من المبتدعة وتميزت به وإن كان من المسائل العملية كالمسح على الخفين، والرجم، والصلاة خلف كل إمام برًا كان أو فاجرًا ونحوها(٧٠).

ولفظ (السلف) هنا لا يعني القديم بإطلاق، كما أن اللفظ المقابل له وهو (الخَلَف) لا يعني المتأخر بإطلاق. بل لفظ الخَلَف يعني الطالح في أحد معنييه إذا كان بفتح اللام؛ لأنه يشمل الصالح والطالح، أما بإسكانها (خَلْف) فهو للطالح لا غير، ولا تكون للصالح بحال كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [مريم: ٥٩].

وعليه فإن لفظ (السلف) هنا يعني السلف الصالح؛ بدليل أن هذا اللفظ عند الإطلاق يعني كل سالك في الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم حتى ولو كان في عصرنا(٧١).

والسلفية إنما هي انتساب إلى منهج السلف الصالح إيمانًا واعتقادًا، فقهًا وفهمًا، عبادة وسلوكًا، تربية وتزكية. فهي «اصطلاح جامع يطلق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلقي الإسلام وفهمه والعمل به، وللدلالة على الملتزمين بهذا المنهج قديمًا وحديثًا»(٧٢).

المبحث الثالث

المراد بفهم السلف

بعد أن تبين لنا معنى الفهم المقصود هنا وأنه شامل للمعاني الدالة عليها الألفاظ الواردة، واستنباط الأحكام وأنواع الدلالات، كما يشمل الاستنباطات والمفاهيم المستنبطة من إيحاءات النص ودلالاته غير المباشرة.

وعرفنا معنى «السلف» والمقصود به هنا المعنى الأول التاريخي ـ وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وتابعيهم بإحسان ـ.

بقي أن نحدد معنى «فهم السلف» المراد في هذا البحث.

وفيما ظهر لي ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن المراد بذلك: ما علمه وفقهه واستنبطه الصحابة والتابعون وأتباعهم من مجموع النصوص الشرعية أو أفرادها مرادًا لله تعالى ولرسوله ﷺ مما يتعلق بمسائل الدين العلمية والعملية، مما أُثر عنهم من قول أو فعل أو تقرير.

وهذا يقتضي إجماعهم أو إطباق جمهورهم على تلك المسائل أو انتشار قول آحادهم وظهوره مع عدم وجود مخالف منهم لذلك القول.

وهذا مما يخرج اجتهاد أفراد الصحابة أو من دونهم في بيان بعض الأحكام الجزئية أو تفسير أفرادهم لبعض الآيات القرآنية التي اختلفوا فيها وتعددت أقوالهم أو لم يشتهر ذلك عنهم، أو جانب الصواب فيها بعضهم. فهذا يُعدّ فهمًا وقولاً لبعض السلف، وليس هو «فهم السلف» والفرق بين الأمرين واضح.

فمعنى «فهم السلف» هو ما فهموه مرادًا لله تعالى أو لرسوله ﷺ من تلك النصوص «ومستندهم في معرفة مراد الرب تعالى من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله ﷺ وهديه، وهو يفصل القرآن ويفسره»[٧٣].

فما أمرهم به أو نهاهم عنه اتبعوه، وما أخبرهم به صدقوه، وما أَشكل عليهم فهمه سألوه، ويترتب على ذلك ما يلي:

١- التصديق به والإيمان والإذعان الكامل إن كان النص من الأمور العلمية الخبرية.

٢- العمل به وتطبيقه قدر المستطاع إن كان من الأمور العملية الطلبية فعلاً أو تركًا.

٣- تركه، وعدم التقرب إلى الله تعالى به إن كان قد سكت عنه الشارع مع وجود المقتضي.

وهذا يعني أنه يتعين على المسلم الحريص على دينه أن ينظر إلى ما فهمه من النصوص الشرعية دالاً على اعتقاد أو عمل فيعرضه على فهم السلف الصالح من هذه النصوص هل اعتقدوا ذلك أم لا، وهل عملوا به أم لا؟ فيحمد الله على الموافقة ويستغفر الله من المخالفة فيراجع نفسه ويتهم علمه وفهمه. وهذا ما دلت عليه النصوص القرآنية والآثار النبوية والسلفية الحاثَّة على اتباع السلف رحمهم الله التي سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله ـ وهي كلمة نفيسة جدًا لكل طالب علم يرجو النجاة لنفسه ـ: «فالذي يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله، ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهى عنه فتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك لا إلى غيره. وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة»(٧٤) اهـ.

وقبله قال شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما سُئل عما يجب على المسلم اعتقاده في القرآن قال: «الذي يجب على الإنسان اعتقاده في ذلك وغيره ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتفق عليه سلف المؤمنين الذين أثنى الله عليهم وعلى من اتبعهم، وذم من اتبع غير سبيلهم»(٧٥) .

فالوقوف على فهم السلف الصالح هو المرحلة الثانية لطالب العلم بعد

الوقوف على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ليضبط فهمه لهذه النصوص، ويسلم من الانحراف إفراطًا أو تفريطًا.

ومن المعلوم بيقين أن من أكبر أسباب الابتداع في الدين هو الانحراف في فهم النصوص، وما انحرفت الخوارج إلا لانحرافهم في فهم نصوص الوعيد، والضابط لهذا الفهم هو فهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ثم أتباعهم من أصحاب القرون المفضلة، ولذلك احتج عليهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بقوله لما ناظرهم: «ولم يكن فيكم أحد ممن صحب رسول الله ﷺ...»[٧٦].

يعني ليدُلَّهم على الفهم الصحيح لهذه النصوص، ويقوِّمَ ما اعوج من فهومهم للفهم الصحيح، وما تنشأ الشبهات التي تصرف الناس عن الحق إلا بسبب الخطأ في الفهم للدليل الشرعي، فيفهمونه على غير مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ.

وكم من منكر قولاً صحيحًا وآفته من الفهم السقيم[٧٧]

كما أن من المعلوم أن كل اعتقاد وعمل تعبدي فهو قائمٌ على هذا الفهم الذي فهمه المتعبد من الدليل الشرعي إن كان صوابًا أو خطأ وهو ما يعتقده مرادًا لله تعالى أو لرسوله ﷺ من تلك النصوص.

ومعنى هذا أن كل اعتقاد اعتقده السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم من أصحاب القرون المفضلة في الله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وسائر أصول الدين فهو مبني على ما فهموه من نصوص الكتاب والسنة مرادًا لله تعالى ولرسوله ﷺ.

وكل اعتقاد مخالف لاعتقادهم فهو مخالف لما فهموه من هذه النصوص وأنه ليس مرادًا لله ورسوله ﷺ منها عندهم.

وكل عمل تعبدي عمله السلف الصالح تقربًا إلى الله تعالى فهو مبني على فهمهم للأدلة الشرعية الدالة على ذلك وأنه مراد لله تعالى ولرسوله ﷺ عندهم.

وكل عمل تعبدي مخالف لعمل السلف الصالح فهو مخالف لما فهموه من الأدلة الشرعية، وليس مرادًا لله ورسوله عندهم من هذه النصوص.

وكل اعتقاد وعمل تعبدي تركه السلف الصالح مع وجود المقتضي فهو مما لم تدل عليه النصوص الشرعية حسب فهمهم، وعليه فهو ليس مرادًا لله ورسوله ﷺ وليس عليه أمره ﷺ فهو إذًا ليس من الدين في شيء، بل هو بدعة وضلالة.

ومن الأمثلة على ذلك ما فهمه السلف الصالح من نصوص الكتاب والسنة الدالة على تعظيم الله تعالى وتوقيره وتوحيده وعدم صرف شيء من أنواع العبادات القلبية والعملية والقولية لغيره تعالى، وعدم اتخاذ الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه في قضاء الحاجات وقبول الدعوات وكشف الكربات. ونحوها كقول عمر: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا»(٧٨)، وذلك بمحضر من الصحابة، ولم ينقل عن أحد منهم اعتراض.

ومراده بالتوسل هنا التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته والتوسل بدعاء العباس بعد لُحوقه ﷺ بالرفيق الأعلى.

وكذلك توحيده تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى والتوسل إليه بها، وعدم رد شيء مما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ. وأن ما توهمه المتأخرون من أن القول بظاهر هذه النصوص يوهم التشبيه وعدم التنزيه فهو فهمٌ مخالف لفهم السلف الصالح الذي فهموه مرادًا لله ورسوله من تلك النصوص، فلا يلتفت إلى فهم من خالفهم. فكل فهم في العقيدة لا يعرفه السلف فهو محدث باطل.

وبناء على ما تقدم فقد أصبح إتباع السلف الصالح في فهمهم لمسائل العقيدة وأدلتها شعارًا وأصلاً من أصول أهل السنة والجماعة، ولذلك قال الإمام أحمد في رسالته في السنة: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع...»(٧٩).

كما أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال إتباع السلف(٨٠).

ومن الأمثلة على ذلك قول ابن تيمية في مناظراته في العقيدة الواسطية: «فقد أمهلت من خالفني في شيء منها ـ يعني العقيدة الواسطية التي تمثل عقيدة

السلف ـ ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا راجع عن ذلك، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته» (٨١).

وفهم السلف رحمهم الله تعالى شامل لثلاثة أمور:

١ ـ فهمهم للأصول الكلية من أصول الدين أو فروعه وهذا ما سبق الكلام عليه.

٢ ـ فهمهم لنص شرعي بعينه.

ويظهر ذلك بالتصريح بهذا الفهم في بيان معناه وتفسيره، أو العمل به إن كان من المسائل العملية أو الاحتجاج به في رد ما يخالف مفهوم ذلك النص، وهذا ما يختلف الحكم فيه إذا كان عن صحابي أو من دونه. وإذا كان مجمعًا عليه أم لا. فإذا كان مجمعًا عليه فهو حجة ملزمة بلا شك، ويلحق به ما نقل عن آحادهم فيما أثر عنهم مما اشتهر عنهم ولم يخالفه فيه غيره منهم (٨٢). وسواء كان ذلك في أصول الدين أو فروعه (٨٣). قال ابن تيمية: «أما أقوال الصحابة، إن انتشرت ولم تنكر في زمانهم فهي حجة عند جماهير العلماء، وإن تنازعوا رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، ولم يكن قول بعضهم حجة على مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء، وإن قال بعضهم قولاً ولم يقل بعضهم بخلافه ولم ينتشر فهذا فيه نزاع، وجمهور العلماء يحتجون به» (٨٤).

وكذلك أقوالهم في التفسير وفهمهم للآيات فـ«لا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم ـ أي الصحابة في حكم المرفوع قال أبو عبد الله الحاكم: «وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع» (٨٥). ومراده أنه في حكم الاستدلال به والاحتجاج لا أنه إذا كان للصحابي في الآية قولٌ فلنا أن نقول: هذا القول قول رسول الله ﷺ...» (٨٦).

على أن في المسألة من التفصيل ما ليس هذا مكان بسطه، كما أن هناك تفريقًا بين قول الصحابي وقول التابعي في الاستدلال والاحتجاج (٨٧).

٣ ـ الاجتهاد في فهم مسألة من المسائل التي لم يرد النص الشرعي صريحًا في بيانها، وإنما تفهم على ضوء عموم النصوص والمقاصد الشرعية العامة. فلا شك أن اجتهاد آحادهم في هذه المسألة أولى من اجتهادنا إذا لم يكن له مخالف منهم كما قال الإمام الشافعي: «إنهم فوقنا في كل عقل وعلم وفضل وسبب يُنال به علم، أو يدرك به صواب، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا»(٨٨).

يقول ابن القيم: «فإذا وجد فيها قول لأصحاب رسول الله ^ ورضي الله عنهم الذين هم سادات الأمة، وقدوة الأئمة، وأعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم ^ وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، ونسبة من بعدهم في العلم كنسبتهم إليهم في الفضل والدين، كان الظن ـ والحالة هذه ـ بأن الصواب في جهتهم، والحق في جانبهم من أقوى الظنون، وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الأقيسة، هذا ما لا يمتري فيه عاقل منصف، وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السداد الذي لا رأي سواه. وإذا كان المطلوب في الحادثة إنما هو ظن راجح... فلا شك أن الظن الذي يحصل لنا بقول الصحابي الذي لم يخالف أرجح...»(٨٩). ولذا كان من أصول الإمام أحمد أنه إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول»(٩٠).

ومع ذلك فإننا لا ندعي العصمة لآحاد السلف الصالح مع ثبوتها لجماعتهم «**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة**»(٩١). فقد يجانب الصواب بعض أفرادهم، وهم في ذلك معذورون ومأجورون، لكن لا نقلده ولا نجرِّحه، فـ«معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة فلا نؤثم ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة، فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم...»(٩٢).

ومن المعلوم أن فهم الصحابة مقدم على فهم التابعين، وفهم التابعين مقدم على فهم تابعي التابعين، وهلم جرا «وكلما كان العهد إلى الرسول أقرب كان الصواب أغلب، وهذا حكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من المسائل»[(٩٣)].

وفهم السلف والاحتجاج به يتناول جانبين من العلم:

الأول: تلك المسائل العلمية التي بيَّن فيها السلف فهمهم بقول أو فعل أو تقرير، سواء كانت من المسائل المجمع عليها عندهم أو المختلف فيها. وهذه تختلف أحكامها باختلاف حالاتها كما تقدم.

الثاني: الاقتداء بالسلف في مسالك العلم والتحصيل والنظر ومناهج الاستدلال، وترتيب الأدلة وطريقة النظر في مسائل الخلاف، وقد اتفق السلف على أدلة حررها أهل أصول الفقه في مصنفاتهم مهتدين بما عمل به السلف في هذا الجانب[(٩٤)].

والعناية بهذا الباب من العلم لا تقلّ أهمية عن النوع الأول، وقد شاء الله أن يحمل هذا السلف المبارك رسالة الإسلام إلى أمم الأرض جميعًا وانداحت دائرة الإسلام في زمن يسير حتى كادت تشمل عامة الأرض وحينذاك وجد علماء السلف أنفسهم أمام حوادث لا تنتهي وأعراف متنوعة ومجتمعات مختلفة وألسنة متعددة[(٩٥)]. فلم يقفوا أمام هذه النوازل والمستجدات مكتوفي الأيدي، بل اجتهدوا في استنباط الأحكام وسبل التعامل معها على ضوء الكتاب والسنة مما يبين الحق ويزيل الشبهة ويحقق مقاصد الشريعة الغراء إيمانًا منهم بأن الكتاب والسنة صالح ومصلح لكل زمان ومكان. شامل لكل ما تحتاج إليه البشرية من أمور دينها ولذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: «فليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الهدى فيها»[(٩٦)].

وقال الإمام أحمد: «إنه ما من مسألة إلا وقد تكلم فيها الصحابة أو في نظيرها»[(٩٧)] فإنه لما فتحت البلاد، وانتشر الإسلام حدثت جميع أجناس الأعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة، وإنما تكلم بعضهم بالرأي في مسائل قليلة»[(٩٨)].

والمقصود أن السلف عرفوا أن في الوحي غنية عما سواه. ولم يحوجنا الله تعالى إلى رأي فلان ولا الفلسفة الفلانية ولا المنطق الفلاني. ومن الشواهد على ذلك أن كثيرًا من المخالفين للسلف من كبار أهل الكلام وغيرهم رجعوا إلى الوحي بعد أن ذاقوا مرارة البعد عنه، وعلموا ضياع أنفسهم حين نأوا عنه وأقروا على أنفسهم بالخطأ، وذكروا أهمية الرجوع إلى الوحي (٩٩).

الفصل الثاني

المبحث الأول

أهمية فهم السلف الصالح

من المعلوم أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] و﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، ومع ذلك بعث تعالى نبيه ﷺ ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] وكلفه تعالى ببيان القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فقام الرسول ﷺ بذلك خير قيام؛ فبيَّن ما نُزِّل إليه من ربه من الكتاب والحكمة. وكان المتلقي لهذا البيان هم صحابته الكرام الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وتبليغ دينه من بعده فأحسنوا القيام بذلك فهمًا وعلمًا واعتقادًا، وحمل الأمانة من بعدهم أتباعهم بإحسان من التابعين، ومن بعدهم من الأئمة.

ومن المعلوم أن نصوص الشارع الحكيم في مجملها واضحة محكمة لا غموض فيها ولا التباس ولا ألغاز ولا طلاسم، ولكن لحكمة يعلمها الله تعالى أنزل مع هذه الآيات المحكمات أخر متشابهات فقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ

ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] وأمر بالإيمان بالكتاب كله، ورد متشابهه إلى محكمه.

كما أن الاختلاف في الأمة من سنن الله الكونية، وهو واقع بينهم لا محالة، ومن أكبر أسبابه الغلط في فهم النص (١٠٠)، وفهمه على غير مراد الله تعالى ورسوله ﷺ.

فكان حريًا الرجوع إلى فهم السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم لفهم هذه النصوص على ضوء فهمهم، فالسلف علمهم أتم وأحكم، وأعلم وأسلم، فلهذا كانوا أعرف الناس بالحق وأدلته وبطلان ما يعارضه (١٠١). وكانوا أعظم الناس قيامًا بدين الله تعالى، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا تصدهم عن سبيل الله العظائم، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه من أجل دينه وإيمانه.

وهناك عدة اعتبارات تدل على أهمية الرجوع إلى فهمهم لمعرفة حقيقة المراد من النصوص الشرعية، وتقديمه على غيره من الفهوم وهي خصائص لا تجتمع في غيرهم، لذلك كان فهمهم مقدمًا على غيره من الفهوم، ومن أهم هذه الميزات:

١ ـ سلامة مصادرهم في التلقي: فقد تلقوا بتجرد تام وإيمان كامل وتسليم مطلق، لم يحاكموه إلى غيره.

يصور لنا الحافظ اللالكائي أولئك القوم فيقول: «فأخذوا الإسلام عنه مباشرة، وشرائعه مشاهدة وأحكامه معاينة من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه وصله، فجاولوها عيانًا وحفظوا عنه شفاهًا وتلقفوه من فِيه رطبًا وتلقنوه من لسانه عذبًا، واعتقدوا جميع ذلك حقًا، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينًا، فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله ﷺ مشافهة، لم يشبه لبس ولا شبهه، ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافة عن الكافة، والصافة عن الصافة، والجماعة عن الجماعة، أخذ كف بكف، وتمسك خلف بسلف...» (١٠٢).

لم تشب أفهامهم شبهات خارجية؛ لأنه لم يظهر بعد ما يكدر تلك الأفهام

الصافية، بل كان النبي ﷺ يحميها من أن تشوبها شائبة خارجية، فأنكر على عمر لما رأى معه قطعة من التوراة، وقال: «**ألم آتكم بها بيضاء نقية...**»(١٠٣) وقال: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»(١٠٤). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم أحدث الأخبار بالله محضًا لم يشب**»(١٠٥). وقد امتثلوا ذلك بالكلية فهذا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يأتيه رجل بكتاب من الشام فنظر فيه ابن مسعود فدعا بطست ثم دعا بماء فمرسه فيه، وقال: «إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم»(١٠٦).

وهذه الكتب التي ترجمت بعد ذلك هي التي أفسدت أفهام المسلمين وغرست الشبهات في عقولهم، فحصل عندهم من الشكّ وعدم اليقين ما لا يخفى، ولبست على الناس ما نزل إليهم، ولا نزال نرى ضحاياها حتى في عصرنا الحاضر بعد هذا الانفتاح المعرفي وولوع بعض طلبة العلم بالقراءة والاستماع إلى المفتونين فأفسدت أفهامهم وأضعفت إيمانهم، باسم الانفتاح ومحاربة الانغلاق، والاطلاع على ما عند الآخر. والله المستعان.

٢ ـ حرصهم على طلب العلم وفهم النصوص والسؤال عما أشكل عليهم:

من المعلوم أن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى بأبي هو وأمي إلا بعد أن بلَّغ البلاغ المبين، وبيَّن ما نزل إليه من ربه، وما من خير إلا ودل أمته عليه، وما من شر إلا وحذرها منه كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»(١٠٧).

وقد فعل ﷺ حتى قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه: «لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»(١٠٨).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»(١٠٩). فتلقى ذلك الصحابة رضوان الله عليهم وفهموه ووَعَوْه

وبلّغوه لمن بعدهم. وكان إذا أشكل عليهم شيءٌ من ذلك سألوا عنه رسول الله ﷺ أو من علمه منهم. فكانوا أحرص ما يكونون على فهم القرآن والسنة رضوان الله عليهم، ولعلنا نسوق بعض النماذج الدالة على ذلك الحرص:

أ ـ فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، يقول: «والذي لا إله غيره ما أنزل الله سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(١١٠).

ب ـ وعائشة رضي الله تعالى عنها يقول عنها ابن أبي مُليكة: «إنها كانت لا تسمع شيئًا لا تَعْرِفُهُ إلا راجعت فيه حتى تعرفه»(١١١).

ج ـ وروى الإمام مالك في «الموطأ»: أن ابن عمر أقام على حفظ البقرة ثمان سنين يتعلمها(١١٢)، والذي حمله على ذلك: ما جاء في كتاب الله تعالى، من قوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وتدبر الكلام بدون فهم معانيه غير ممكن.

ومن المعلوم أن كل كلام يقصد منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه. والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلوم كالطب أو الحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكتاب الله الذي فيه عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم(١١٣)؛ لذلك قال ابن تيمية رحمه الله: «وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه...»(١١٤).

د ـ وهذا ليس قاصرًا على الصحابة، بل على أتباعهم من القرون المفضلة، فهذا مجاهد يقول: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها»(١١٥).

وطلب فهم النصوص أمر مؤكد عندهم كما دلت عليه الآيات الآمرة بالتدبر. قال الحسن البصري: «ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم ما أراد بها»(١١٦).

٣ ـ أنهم كانوا أحرص الناس على العمل بما سمعوه، ولا يمكن العمل إلا عن فهم وعلم ودراية.

أ ـ وقد شهد النبي ﷺ للصحابة بذلك فقال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خُلُوفُ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»(١١٧).

ب ـ وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا»(١١٨). وقال ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»(١١٩). وتقدم أن ابن عمر أقام ثمان سنين على حفظ سورة البقرة يتعلمها.

قال ابن تيمية: «ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وأتباعهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا...»(١٢٠).

٤ ــ أن الصحابة شاهدوا الوحي والتنزيل، وهذا أورثهم مزيد فهم لا يشاركهم فيه غيرهم. وقد نقله عنهم تلامذتهم من التابعين ثم أتباعهم.

وتقدم كلام ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقسمه على أنه ما نزلت آية إلا ويعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ويقول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل»(١٢١).

قال ابن تيمية رحمه الله: «وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر

المتأخرين. فإنهم شهدوا الرسول والتنزيل، وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على [مراده](١٢٢) ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من إجماع أو قياس»(١٢٣).

ويقول الشاطبي في تعداد مرجحات الاعتماد على بيان الصحابة: «والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة؛ فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب النزول، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا وإن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية»(١٢٤).

فهذه المعرفة لها أثرها الكبير في مزيد اختصاصهم بفهم معاني ما أنزل الله في كتابه لا تظهر إلا بمعرفة سبب نزولها، وهذه الخاصية لا تكون إلا لأولئك الذين شاهدوا التنزيل وفهموا التأويل.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ ـ ما فهمه أبو أيوب رضي الله تعالى عنه من قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] لما حمل رجل يوم القسطنطينية على العدو فقال الناس: مه! لا إله إلا الله، يلقي بنفسه إلى التهلكة... فذكر أبو أيوب سبب نزولها وقال: فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد»(١٢٥). فمعرفة أبي أيوب ومعاصرته لنزول الآية كانت سببًا في زيادة العلم بمعنى الآية، وتصحيح المعنى الخاطئ لها.

ب ـ ومن ذلك تصحيح عائشة رضي الله تعالى عنها، لفهم عروة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ففهم من الآية ألا جناح على من لم يطف بهما، فأنكرت عليه ذلك، وبينت أن الآية نزلت في الأنصار الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالصفا والمروة، لما كانوا يهلون في جاهليتهم لمناة الطاغية، فسألوا النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية(١٢٦).

وهناك النصوص الكثيرة التي لا يُفهم معناها المراد كاملاً إلا بمعرفة سبب النزول مثل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ٣](١٢٧). وقوله تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٨](١٢٨) وغيرها.

٥ ـ أنهم أعلم الناس بلغة القرآن الكريم، فقد نزل القرآن بلسانهم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥] جريًا على معهودهم في الكلام وعادتهم في الخطاب من غير تعلم للغة ولا مدارسة واكتساب لأساليبها، ولا يعلم أحد أفصح لسانًا وأسد بيانًا، وأقوم خطابًا من أهل القرون الأولى المفضلة، وأولاهم في هذا الفضل والسبق أصحاب رسول الله ﷺ ، قال الشاطبي معددًا اعتبارات تقديم فهمهم للنصوص على أفهام غيرهم: «أحدها: معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان؛ صح اعتماده من هذه الجهة»(١٢٩). ويقول: «ما نقل من فهم السلف الصالح في القرآن فإنه كله جارٍ على ما تقتضيه العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية»(١٣٠).

ومما لا شك فيه أن الجهل باللسان العربي من أكبر أسباب سوء الفهم للنصوص الشرعية، ولهذا قال الشافعي: «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس»(١٣١).

ثم إن اللغة التي ينبغي أن تعد مرجعًا في تفسير القرآن الكريم وفهم نصوصه هي اللغة التي كانت متداولة في عصر التنزيل دون الالتفات إلى اللغة الحادثة(١٣٢). وما طرأ عليها في العصور التالية من دلالات الألفاظ مما لا ينبغي تحكيمه في فهم القرآن الكريم(١٣٣).

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ وعادتهم في الكلام، وإلا حرف الكلم عن مواضعه. فإن كثيرًا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثم يجد

تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك» (١٣٤). ثم ذكر أمثلة على ذلك.

وبهذا يتبين أن لغة جيل الصحابة وأتباعهم هي اللغة التي يتعين فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على ضوئها، لا ما ورد استعماله عند المتأخرين، وكم جنت المصطلحات الحادثة والألفاظ المجملة وتحميل الألفاظ من المعاني المحدثة التي لم يستعملها العرب من قبل من جنايات فظيعة على عقائد المسلمين وزرع الشبه في أذهانهم.

٦ ـ أنهم أعظم الناس عقلاً وفهمًا وحسًّا وإدراكًا، وأزكاهم وأنفذهم بصيرة.

وذلك لأن قوة الإيمان والتقوى واعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه ويجعل للعبد فرقانًا ونورًا يفرق به بين الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ ...﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ [النساء: ٦٦]. ولا شك أن الصحابة والتابعين وأتباعهم هم خير من حقق هذه الخصال فتحقق لهم موعود الله تعالى الذي لا يخلف، ولذا فهم «أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياسًا، وأصوبهم رأيًا، وأسدهم كلامًا، وأصحهم نظرًا وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً، وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهامًا وأحَدُّهم بصرًا ومكاشفة وأصوبهم سمعًا» (١٣٥). كيف وقد ورد التنزيل موافقًا لاجتهادات بعضهم كما حصل لعمر غير مرة كما في فداء الأسرى، والحجاب وغيرهما (١٣٦).

ولهذا يقول عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: «من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة؛ أبرّها قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا... قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد كانوا على الهدى المستقيم» (١٣٧).

وورد ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه [١٣٨]، وعن الحسن البصري [١٣٩]، ونحوه في رسالة عمر بن عبد العزيز لعديّ بن أرطاة [١٤٠].

فمن المحال أن يحرم الله من هذه صفته الفهم الصحيح للدين الذي حملوه لنا، وبلغوه ثم يوفق إلى فهمه الصحيح من جاء من بعدهم.

ولذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما بعثه علي رضي الله عنه لمحاورة الخوارج فقال لهم في أول ما قال: «أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار من عند ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد» [١٤١].

وفي هذا يقول الإمام الشافعي: «وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم. فرحمهم الله، وهنّاهم بما آتاهم من بلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًا وخاصًا، وعزمًا وإرشادًا وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا» قال: «وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم، واستنبط به، آراؤهم أحمد وأولى بنا من آرائنا لأنفسنا» [١٤٢].

بل إن السلف الصالح رضوان الله عليهم هم أكثر الأمة بركة لقربهم وشدة اتباعهم للنبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، ليس ذلك في فهم نصوص الكتاب والسنة بل حتى في الغزو والحروب الطاحنة مع أعداء الله تعالى. كما تقدم في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان، فَيَغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان؛ فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**» [١٤٣].

وكما فتح الله لهم الأمصار فقد فتح قلوبهم للنور الإلهي والوحي الرباني، وفتح لهم قلوب العباد فاستناروا بنور الله، واستضاؤوا بهدي نبيهم ﷺ. ولما ذكر النبي ﷺ مثل ما بعثه الله به من الهدى والعلم قال: «كمثل غيث أصاب أرضًا، وكانت منها طائفة قبلت الماء وأنبتت العشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (١٤٤).

قال ابن تيمية: «ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علمًا وعملاً ودعوة إلى الله والرسول، فهؤلاء أتباع الرسول حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة في الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾فالأيدي القوة في أمر الله، والأبصار البصائر في دين الله، فبالبصائر يدرك الحق، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر والتأويل ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهمًا خاصًا...» (١٤٥).

وخلاصة الأمر: أنه كلما كانت عدالة الشخص أكمل كان لذلك أثر في موافقته الحق أكثر من غيره. وهذا ما أوجب تقديم فهم الصحابة وأتباعهم على غيرهم ممن جاء من بعدهم.

هذا ويضاف إلى هذه المسوغات والاعتبارات الدالة على أهمية فهم السلف وتقديمه على سائر الفهوم ما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في الفصل التالي من الأدلة الدالة على حجية فهم السلف وتقديمه على غيره.

المبحث الثاني

عناية العلماء بتدوين فهم السلف

إن أمرًا هذا شأنه لجدير بأن تصرف الهمم إلى جمعه وتدوينه والعناية به. وقد بدأ ذلك مبكرًا مع تدوين السنة النبوية؛ لأنه في جملته من السنة ـ كما أسلفنا ـ وخاصة موروث الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كما روى صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن رسول الله ﷺ، قال: ثم قال الزهري: نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة. قال: فقلت أنا: لا، ليس بسنة. لا نكتبه. قال: فكتب ولم أكتب؛ فأنجح وضيعت» [(١٤٦)] .

ولهذا فلفظ السنة «يُطلق على ما عمل عليه الصحابة وُجد في الكتاب والسنة أو لم يوجد؛ لكونه اتباعًا لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا أو اجتهادًا مجمعًا عليه منهم، أو من خلفائهم...» [(١٤٧)] .

وتظهر عناية العلماء بهذا الموروث النفيس فيما أودعوه في مصنفاتهم المبكرة من آثار قوليه وعملية للصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان وذلك ظاهر فيما يلي:

٤- ما أودعوه في كتب الصحاح والسنن والمسانيد من آثار الصحابة والتابعين إما مسندًا وإما معلقًا، وقد أودع الإمام البخاري تراجم صحيحه جملة كبيرة من آثار السلف القولية والعملية، وتبعه في ذلك الإمام الترمذي رحمهما الله تعالى.

٥- ما حوته كتب المصنفات والمعاجم من آثار مسندة للصحابة والتابعين وأتباعهم من كم هائل لهذا التراث. ومن الأمثلة على ذلك مصنفا عبد الرزاق وابن أبي شيبة فقد حوى مصنف عبد الرزاق ما يزيد على واحد وعشرين ألف حديث وأثر، عامتها من أقوال السلف كما حوى مصنف ابن أبي شيبة نحو تسعة عشر ألف حديث وأثر عامتها من أقوال السلف كذلك [(١٤٨)] .

٦- ما حوته كتب «السنة» و«الرد على الجهمية» وكتب العقيدة المتقدمة من آثار مسندة إلى السلف الصالح رضوان الله عليهم مثل: كتاب «السنة» و«الرد على الجهمية» لمحمد بن عبد الله الجعفي، شيخ البخاري، ولأبي داود السجستاني ولعبد الله ابن أحمد بن حنبل، ولأبي بكر الأثرم ولحنبل بن إسحاق، ولحرب الكرماني ولعثمان ابن سعيد الدارمي، ولنعيم بن حماد الخزاعي، ولأبي بكر الخلال ولأبي بكر ابن خزيمة ولعبد الرحمن بن أبي حاتم ولأبي القاسم الطبراني ولأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي عبد الله بن منده، ولأبي عمر الطلمنكي، ولأبي بكر الآجري ولأبي القاسم اللالكائي ولابن بطة في إبانتيه ولقوام السنة في الحجة ولنصر بن إبراهيم المقدسي في الحجة أيضًا وغيرهم. ومَن قبلهم مثل كتاب (الإيمان) لابن أبي شيبة، و(الإيمان) لأبي عبيد القاسم بن سلام. و(العلم) لابن أبي خيثمة وغيرهم[١٤٩].

٧- وكذلك ما حوته كتب التفسير بالمأثور من نصوص مسندة عن السلف الصالح رحمهم الله مثل تفسير عبد الرزاق، وعبد بن حميد، ودحيم، وسنيد، وابن جرير الطبري، وأبي بكر ابن المنذر، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم... وغير ذلك من كتب التفسير. وقد جمع السيوطي في الدر المنثور كمًا هائلًا من آثار السلف رحمهم الله من مصادر بعضها مفقود.

٨- ما حوته كتب التاريخ والتراجم والطبقات والسير، مثل الطبقات الكبرى لابن سعد، وتاريخ بغداد، وحلية الأولياء، وتاريخ دمشق، وسير أعلام النبلاء وغيرها.

٩- ما حوته كتب الفقهاء وشراح الحديث ككتب المذاهب الأربعة والمحلى وكتب ابن عبد البر والسنن الكبرى للبيهقي والمغني لابن قدامة والمجموع للنووي وفتح الباري وغيرهم من أصحاب الموسوعات الفقهية والحديثية الكثيرة.

وغير ذلك مما يصعب حصره من آثار السلف الصالح المسندة وغير المسندة.

وهذا دليل قاطع على عناية علماء الأمة بفهم السلف الصالح وعلومهم وفقههم للنصوص الشرعية والأحكام العلمية والعملية المستنبطة منها. فلم يكن دورهم النقل فقط؛ بل التثبت والتمحيص أولاً ثم العلم والعمل ثانيًا. وعليه فإن من المعلوم أنه «ليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها، وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال»(١٥٠).

ولذلك قال الإمام مالك: «إن العلم ليس بكثرة الرواية، إنما العلم نور يقذفه الله في القلب»(١٥١).

قال أحمد بن صالح المصري: «تأويل قوله ـ أي الإمام مالك ـ «نور» يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه»(١٥٢).

وقال الخطيب البغدادي: «إن العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع في الرواية»(١٥٣).

وقد كان النبي ﷺ أُوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارًا. ولذلك قيل: «كلام السلف قليل كثير البركة، لكن كلام الخلف كثير قليل البركة»(١٥٤).

الفصل الثالث

المبحث الأول

أدلة حجية فهم السلف

بعد أن ذكرنا في الفصل السابق أهمية فهم السلف، وبعض الاعتبارات الدالة على أهمية فهم السلف وتقديمه على غيره من الفهوم يحسن بنا في هذا المقام أن نفصل الأدلة الشرعية الدالة على وجوب تقديم فهم السلف، والرجوع إليه عند التنازع والاختلاف، واعتباره الفيصل في فهم دلالات النصوص ومراد الله تعالى ورسوله من هذه النصوص، وهذه الأدلة منها ما هو صريح في دلالته ومنها ما ليس بصريح، ومنها ما هو دال بمنطوقه ومنها هو دال بمفهومه، ومن هذه الأدلة:

أولاً: الأدلة القرآنية:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالآية صريحة في الثناء على المتبعين للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم أئمة السلف الصالح وقادتهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. والاتباع شامل للاعتقاد والعمل المبني على صحة الفهم. وهذا المدح يتضمن صحة ما كانوا عليه من ذلك، كما دلت بالمفهوم على بطلان ما خالفهم في ذلك. فدلت على أن فهمهم حجة على من بعدهم في مسائل العقيدة والعمل[(١٥٥)].

وقد احتج الإمام مالك بهذه الآية على وجوب اتباع الصحابة رضوان الله عليهم[(١٥٦)].

ومثل هذه الآية في الدلالة الآيات التي أثنى الله تعالى فيها على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى

ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ..﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآية وغيرها من الآيات الآمرة باتباعهم.

«وهذا كله تنبيه للأمة على صحة مسلكهم، ووضوح حجتهم والأمر باتباع آثارهم، وأن فهمهم هو الفهم الصحيح، وما سواه مما عارضه فهو فهم سقيم عاطل، ورأي باطل»(١٥٧).

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فقيَّد الهداية بالإيمان بمثل ما آمن به الرسول ^ وأصحابه، فالإيمان المثلي كإيمان الصحابة(١٥٨).

ولا شك أن هذا الإيمان إنما هو نتيجة الفهم الثاقب والعلم الصائب للوحي الرباني، وكما أنه لا يمكن لمن جاء من بعدهم أن يتساووا معهم في كمية الإيمان، فدل على أنه لم يبق إلا المساواة في الكيفية، وهو المنهج والسبيل والفهم المذكور في الآية التالية.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومما لا شك فيه أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان هم أولى الناس دخولاً في من سماهم الله هنا «المؤمنين» محذرًا ومتوعدًا من اتبع غير سبيلهم، «وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان، فعلم قطعًا أنهم المراد بالآية الكريمة»(١٥٩).

وعليه فالآية آمرة باتباع سبيل السلف الصالح متوعدة من خالفهم واتبع غير سبيلهم بالخذلان والنار، ومن المعلوم أنه «قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم...»(١٦٠).

وهذه الآية قد استدل بها العلماء على أن إجماع هذه الأمة حجة

قاطعة(١٦١)، وأنها معصومة من الخطأ. ومعنى ذلك أن مخالفة فهم السلف وما كانوا عليه خرق للإجماع؛ لأنه قد اتبع غير سبيلهم، بل جعل الله تعالى مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين متلازمين، فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول ﷺ(١٦٢).

كما تفيد الآية أن متابعة سبيلهم ــ وهي طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ـ(١٦٣) من الواجبات المتحتمات فـ «النهي عن مخالفة سبيلهم يتضمن الأمر باتباع سبيلهم، واتباعهم يكون باعتماد ما اعتمدوه وأجمعوا عليه من القول والعمل ومن المعلوم أن الأقوال والأعمال إنما تصدر عن فهم، ومتابعتهم في أقوالهم واعتقاداتهم تتضمن متابعتهم في فهمهم؛ لأن من خالفهم في الفهم فلزامًا أن يخالفهم في القول والعمل...»(١٦٤).

٤ ــ قولــه تعــالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وهذه الخيرية دليل على صحة ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من العقيدة والعمل، وهي نابعة من سلامة الفهم عن الله تعالى ورسوله ^، والآية خطاب للصحابة في المقام الأول، فهم سلف الأمة، ووصفهم بهذه الخيرية تنبيه على سلامة ما كانوا عليه من الفهم والتأصيل المستمر لسلامة العقيدة وصحة العمل، وحث على الاقتداء بهم في ذلك(١٦٥).

٥ ـ وبنحوها قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية [البقرة: ١٤٣]، والوسط: الخيار العدول(١٦٦). والموصوف بذلك هم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. ويلحق بهم من اتبعهم بإحسان في علومهم وأفهامهم، وما يترتب على ذلك من الاعتقاد والقول والعمل، فهي في دلالتها كالآية قبلها(١٦٧).

يقول ابن القيم: «فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم

ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة، والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه، ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم...»[(١٦٨)].

وفي هذا أعظم تزكية لهم، إذ لا يقبل في الشهادة إلا من كان عدلًا رضا في القضاء الشرعي في الدنيا، فكيف بمن يكون مختارًا من قِبل الله تعالى ليشهد بين يديه على الأمم يوم يقوم الناس لرب العالمين... إنها حقًا لمنقبة عظيمة لا يفي التعبير بقدرها وجلالتها.

ثانيًا: الأحاديث النبوية:

ومن الأحاديث النبوية الدالة على وجوب تقديم فهم السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من القرون المفضلة ما يلي:

١ ـ قوله ﷺ : «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة**»[(١٦٩)].

فهذا أمر صريح باتباع سنة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وهم أئمة السلف وخيارهم، والأمر إذا خلا من الصارف فهو مقتض للوجوب، فدل على وجوب الاستنان بهم رضوان الله عليهم في الفهم والعلم والاعتقاد والعمل.

وهذا أمر باتباع الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، فكيف إذا كان الصحابة مجتمعين يفهمون من النص أمرًا معينًا[(١٧٠)].

قال الشاطبي: «فقرن عليه السلام ـ كما ترى ـ سنة الخلفاء الراشدين بسنته، وأن من اتباع سنته اتباع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك، ليست منها في شيء؛ لأنهم رضي الله عنهم فيما سنوا إما متبعون لسنة نبيهم عليه السلام نفسها، وإما متبعون لما فهموه من سنته ﷺ في الجملة والتفصيل على وجه يخفى على غيرهم مثله لا زائدة على ذلك»[(١٧١)].

٢ ـ قوله ﷺ : «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[(١٧٢)] .

وهذا الحديث رواه خمسة عشر صحابيًا[(١٧٣)] . وقد نص على تواتره جماعة من أهل الفن والاختصاص[(١٧٤)] .

فدل ذلك على أن أهل هذه القرون الثلاثة الذين هم السلف الصالح رضي الله عنهم خير الأمة بإطلاق، قال ابن القيم: «وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، وإلا لو كان خيرًا من بعض الوجوه فلا يكونون خير القرون مطلقًا»[(١٧٥)] . فدل على أنهم خير الأمة فهمًا، وأزكاها علمًا، وأعمقها تأصيلاً، وأحسنها عملاً واعتقادًا. فهل يعقل أن هؤلاء السلف لم يشتمل قرنهم على ناطق بالصواب في تلك المسائل ولم يفهموا الحق الذي فيها حتى جاء من بعدهم فعرفوا حكم الله الذي جهله أولئك السادة، وأصابوا الحق الذي أخطأه أولئك الأئمة، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وبما أنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة «فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصومًا، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في أقاويلهم»[(١٧٦)] .

ويشبه هذا الحديث في الدلالة جميع الأحاديث والآثار التي مدحت الصحابة وأثنت عليهم وحثت على الاقتداء بهم مثل: «**لا تسبوا أصحابي**...»[(١٧٧)] ، و«**النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي**...»[(١٧٨)] ونحوها[(١٧٩)] .

وعليه «فترجيح منهج آخر غير منهج الصحابة فيه إبطال لجميع النصوص التي تدل على فضلهم؛ إذ كيف يفضل قوم على غيرهم وهم لم يهتدوا إلى المنهج الصحيح في فهم الدين»[(١٨٠)] .

٣ ــ وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يومًا:

«**إنها ستكون فتن**» قالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ أو كيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأول**»(١٨١). أي: ما عليه سلفكم، وهذا شامل لفهمهم للنصوص وعملهم بمقتضاها.

والخطاب وإن كان للصحابة رضوان الله عليهم، فكأنه يشير إلى فتنة الاختلاف وما حصل بين الصحابة وكأنه يشير إلى أن ترجعوا إلى أمركم الأول زمنه عليه الصلاة والسلام وزمن الشيخين قبل ظهور الفتن والاختلاف.

والشاهد من الحديث أنه كلما قرب العهد من النبوة وصدر الإسلام فهو أسلم من الفتن. وفيه إشارة إلى أن السلامة في الرجوع إلى ما عليه السلف الأول. والعلم عند الله.

ثالثًا: مأثورات الصحابة والأئمة المتقدمين:

كثُرت النصوص الواردة عن الصحابة والتابعين وأئمة الدين المقتدى بهم من بعدهم في الحث على الاقتداء بالسلف الصالح وترسم خطاهم في كل فهم وعلم وعمل واعتقاد.

وقد تقدم معنا في بيان أهمية فهم السلف نقولٌ متعددة لبعض الصحابة في هذا الأمر كابن عمر وابن مسعود(١٨٢) ومن بعدهم كالحسن البصري والشافعي. وإليك هذا النزر اليسير من مأثور أقوالهم الناصحة في هذا الموضوع الخطير. زيادة على ما سبقت الإشارة إليه.

١ ـ فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه قال: «يا معشر القراء، خذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا»(١٨٣).

ومن المحال ألا يكون الصواب في فهم غير طريق من قد سبق إلى كل خير على الإطلاق(١٨٤).

٢ ـ وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «تعلموا العلم قبل أن يقبض... وعليكم بالعتيق»[١٨٥]. والعتيق: هو الأمر الأول كما تقدم في الحديث، وهو ما عليه المتقدمون من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم. وهو شامل لفهمهم وعملهم واعتقادهم رضي الله تعالى عنهم.

٣ ـ وبنحوه ما رواه عثمان بن حاضر قال: قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنه: أوصني. قال: «عليك بالاستقامة، واتبع الأمر الأول، ولا تبتدع»[١٨٦].

٤ ـ وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في رسالته المشهورة إلى عدي بن أرطأه في شأن القدر وكان مما جاء فيها: «... فعليكم بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي القوم لأنفسهم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ قد كفُّوا، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل لو كان فيه أحرى. فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من ابتغى غير سنتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسَّر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم...» إلى أن قال: «لقد قرؤوا منه ـ يعني القرآن ـ ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم...»[١٨٧].

٥ ـ وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[١٨٨]. وقال: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس»[١٨٩].

٦ ـ وقال الإمام مالك: «لا نصلي خلف المبتدع منهم...» إلى أن قال: «والتسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله»[١٩٠].

وهو القائل للعبارة المشهورة التي تُعد منهجًا في التغيير والإصلاح: «لا يُصْلح آخر هذه الأمة إلا ما أَصْلَح أولَها»(١٩١).

٧ ـ قال عباد بن عباد أبو عتبة الخواص ـ من أتباع التابعين الزهاد ـ: «اعقلوا. والعقل نعمة فرب ذي عقل قد شغل قلبه بالتعمق فيما هو عليه ضرر عن الانتفاع بما يحتاج إليه، حتى صار عن ذلك ساهيًا، ومن فضل عقل المرء ترك النظر فيما لا نظر فيه، حتى يكون فضل عقله وبالاً عليه في ترك مناقشة من هو دونه في الأعمال الصالحة، أو رجل شغل قلبه ببدعة قلد فيها دينه رجلاً دون أصحاب رسول الله ﷺ، أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهدى إلا فيها!! ولا يرى الضلالة إلا تركها!! بزعم أنه أخذها من القرآن وهو يدعو إلى فراق القرآن، أفما كان للقرآن حملةً قبله وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه؟! وكانوا منه على منار أوضح الطريق، وكان القرآن إمام رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ إمامًا لأصحابه، وكان أصحابه أئمة لمن بعدهم، رجال معروفون منسوبون في البلدان متفقون في الرد على أصحاب الأهواء...» فذكر شيئًا من صفاتهم، ثم قال: «... لأنهم لم يطلبوا أثر السالفين ولم يقتدوا بالمهاجرين ...» إلى أن قال: « عليكم بالقرآن فَأْتموا به وأُمُّوا به، وعليكم بطلب أثر الماضيين...»(١٩٢).

٨ ـ وقال أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) ـ في طوره السلفي الأخير ـ: «قولنا الذي نقول به، وديننا الذي ندين لله به، التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون...»(١٩٣).

٩ ـ وقال أبو نصر السجزي (ت٤٤٤هـ): «أهل السنة هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص من الكتاب ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد أُمرنا باقتداء آثارهم، واتباع سنتهم، وهذا أظهر مما يحتاج فيه إلى برهان»(١٩٤).

١٠ ـ وقال الإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ): «فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف

فقف مع نصوص القرآن والسنة، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم وإما أن تسكت بعلم» [(١٩٥)].

٢) رابعًا: الإجماع:

قد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقادات وغيرها من كل فضيلة القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

وقد حكى هذا الإجماع ابن تيمية فقال: «من المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير هذه الأمة ـ في الأعمال والأقوال والاعتقادات وغيرها من كل فضيلة أن خيرها ــ القرن الأول ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة؛ من علم وعمل وإيمان وعقل، ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل. هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضله الله على علم» [(١٩٦)].

٣) خامسًا: المعقول والاعتبار الصحيح:

ومن ذلك:

١ ـ أن من المتقرر عند عامة المسلمين أن الصحابة هم أكمل الأمة عقولاً وأشدها اتباعًا، وأقواها إيمانًا، وأزكاها علمًا، وأتمها فهمًا، وأنه لا كان ولا يكون مثلهم في الإيمان والعلم والفهم والعمل. فمن المحال الممتنع أن مَن هذه صفته يكون مَن بعده من الخلف أتم معرفة بالحق وأقعد بالفهم الصحيح منه. وقد بسطنا القول في هذه المسألة في الفصل الثاني: أهمية فهم السلف [(١٩٧)].

٢ ـ أنه عند اختلاف فهم السلف مع فهم الخلف فلا يخلو الحال من أحد أمرين:

أ ـ إما أن يكون الحق مع القوم الذين اصطفاهم الله لصحبة خير خلقه وصفوة رسله.

ب ـ وإما أن يكون الحق مع قوم إنما أخذوا علومهم من المنطق اليوناني ومن القواعد الفلسفية المناقضة للمعقول والمنقول.. فأي الفريقين أحق بمعرفة وفهم ما أنزل الله على رسوله ﷺ، ومراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ [(١٩٨)] !؟

ولذا فإن «أصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه وهذا من أعظم المحادة لله ولرسوله لكن على وجه النفاق والخداع» [(١٩٩)] .

٣ ـ أن أساطين علماء الخلف قد اعترفوا بخطأ ما هم عليه من الفهم وطرائق الاستدلال وندموا على ما تعلموه مما هو مخالف لفهم السلف وأنهم لم يكن معهم إلا الوهم والخيالات الفاسدة والظنون الكاذبة المُورثة لعذاب الشك والحيرة وعدم اليقين [(٢٠٠)] . ونصوصهم في هذا التراجع والاعتراف أكثر من أن تجمع في هذا المختصر [(٢٠١)] .

في مقابل ذلك يقول ابن تيمية: «أما السلف فما علم عن أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجوع عما هم عليه » [(٢٠٢)] .

ومن أقوى أدلة المتراجعين الواضحة الجلية: ما ذكره أبو المعالي الجويني ـ وهو أحدهم ـ في: «العقيدة النظامية» لما رجع عن التأويل مستدلاً على ذلك بفعل الصحابة قال: «وهم صفوة الإسلام، والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغًا ومحتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة» [(٢٠٣)] .

ومعلوم أن التأويل إنما هو ثمرة للفهم السقيم للنصوص الشرعية المخالف لفهم سلف الأمة رضوان الله تعالى عليهم.

٤ ـ من المحال أن تكون القرون الثلاثة المفضلة ـ بما فيها قرنه ^ الذي بُعث فيه ـ غير عالمين ولا فاهمين للحق ولا قائلين عاملين به؛ «لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع:

أما القول الأول [أنهم غير عاملين]: فلأن من في قلبه حياة وطلب للعلم، أو نُهْمَة «في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه... وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصوّر مع قيام هذا المقتضِي ـ الذي هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى. فكيف يقع في أولئك؟!

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه [وهو القول الثاني]: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم»[(٢٠٤)].

٥ ــ من المعلوم أن لاستنباط الأحكام من النصوص الشرعية ركنين أساسيين كما قال الشاطبي: «أحدهما علم لسان العرب. وثانيهما علم أسرار الشريعة ومقاصدها. أما الركن الأول فقد كان وصفًا غريزيًا في الصحابة والتابعين والعرب الخلص فلم يكونوا في حاجة لقواعد تضبطه لهم. كما أنهم كسبوا الاتصاف بالركن الثاني من طول صحبتهم لرسول الله ﷺ ومعرفتهم الأسباب التي ترتب عليها التشريع حيث كان ينزل القرآن وترد السنة نجومًا بحسب الوقائع، مع صفاء الخاطر فأدركوا المصالح، وعرفوا المقاصد التي راعاها الشارع في التشريع»[(٢٠٥)]. وتقدم تفصيل ذلك في بيان الأهمية واختصاصهم ببعض الأمور دون غيرهم مما يجعل فهمهم مقدمًا على فهوم غيرهم.

المبحث الثاني

ثمرات الالتزام بفهم السلف الصالح

لا شك أن الالتزام بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة العاصمة من كل فتنة مضلة له ثمرات يانعة وآثارٌ نافعة، تحفظ المرء في عقيدته وعبادته وتعصمه بإذن الله من الأهواء والمفاهيم الشاذة والأفكار المنحرفة وما سلت السيوف، وأزهقت الأرواح وسفكت الدماء وانتهكت الحرمات وكفَّر المسلمون بعضهم بعضًا وفرقت جماعتهم قديمًا وحديثًا إلا بسبب التأويل الباطل المبني على الفهم السقيم للنصوص الشرعية المخالف لفهم السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم. ومن أبرز ثمرات الالتزام بفهم السلف:

١ ـ معرفة مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ ؛ إذ هي غاية كل مسلم يريد الاعتصام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ظاهرًا وباطنًا لينجو من الفتن ويحقق عبودية ربه على هدى وبصيرة. ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق فهم السلف الصالح لهذه النصوص الشريعة.

فمقصود السلف هو معرفة مراد الله عز وجل ومراد رسوله ^ الذي هو ينبوع الهدى، وهو غاية السالكين وطريق النجاة لطالبيها، كما أن الانحياز إلى جانب الصحابة وأتباعهم والتمسك بطريقتهم وهديهم هو عين الفلاح، وأساس النجاح.

فأسعد الناس وأسدهم رأيًا في جميع أمور الدين وما يقرب من رب العالمين هو من تلقى من «مشكاة الوحي المبين، ورغب بعقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين، وتشكيكات المشككين، وتكلفات المتنطعين، واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين، فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشفت، وجمعت وفرقت، وأوضحت وبينت، وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن»[٢٠٦] .

ثم إن عامة ما عند السلف من العلم والإيمان هو ما استفادوه من نبيهم ^

الذي أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وهداهم به إلى صراط العزيز الحميد الذي قال الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

ولا شك أن أعلم الناس بهذا الصراط وأحرصهم على الهداية إليه هم صحابة رسول الله ﷺ وأتباعهم من أئمة السلف الصالح، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «إذا لقيتم الذين يتبعون المتشابه فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى»(٢٠٧).

٢ ـ حسم مادة الابتداع وإغلاق باب البدعة والإحداث في الدين؛ لأن المبتدعة عادة ما يتعلقون ببعض النصوص ويتأولونها على غير تأويلها، ويفهمونها على غير مراد الله ومراد رسوله ﷺ ولكن على مرادهم هم لتوافق أهواءهم وما استحدثوه من البدع. وفهم السلف هو الفيصل في هذه المسألة، وهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

قال ابن تيمية: «وفي الجملة من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا

مغفورًا له خطؤه...» إلى أن قال: «ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسولَه ﷺ ، فمن خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول...»[٢٠٨].

بل إن العدول عن فهم السلف للنصوص هو من أخطر أبواب الانحراف والضلال، فمن فسر القرآن الكريم والسنة المطهرة «وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين فهو مفتر على الله عز وجل، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد وهو معلوم البطلان من دين الإسلام»[٢٠٩].

٣ ـ العصمة من التفرق والاختلاف المذموم.

ولذلك قال عمر بن الخطاب لابن عباس رضي الله تعالى عنهم: «كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين؛ إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيمن نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون في مَن نزل، فيكون لهم فيه رأيٌ، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا»[٢١٠].

٤ ـ الطمأنينة والأمن النفسي القاطع لشوائب الاحتمالات المقدرة، الرافع للإشكالات المتوهمة. فمتى علم المتفقه وطالب العلم أن فهمه للدليل موافق لفهم السلف الصالح كان ذلك حاسمًا للترددات شاهدًا صادقًا على صحة الاستدلال بالدليل مصدقًا له.

٥ ــ السكوت عما سكت عنه الصحابة والسلف ــ وخاصة فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان ـ فالسكوت عنه أولى وأليق وأسلم. وأن الخلف لم يأتوا فيه إلا بباطل من القول وزورٍ؛ ولذلك قال بعض السلف: «عليكم بآثار من سلف، فإنهم جاؤوا بما يكفي ويشفي، ولم يحدث بعدهم خير كان لم يعلموه»[٢١١].

وتقدم كلام الصحابة والأئمة في ذلك، والأمر بالسكوت عما سكت القوم

عنه. فما سكتوا إلا لعلمهم بأن السكوت هو المتعين في مثل هذه الأمور.

٦ ـ معرفة السنة من البدعة. والضابط في ذلك هو فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فكل دين وعبادة لم يكن معروفًا عند السلف، فهو من الابتداع والإحداث في الدين، وتقدم مأخذ ابن عباس على الخوارج: بأنه ليس فيهم أحد من صحابة رسول الله ﷺ، الذين هم أعلم الناس بتأويل القرآن.

فدل على: أن الحجة بفهم الصحابة وما كانوا عليه وليس العكس، وأن أهل البدع هم الذين انشقوا عن الجماعة وخالفوا الصحابة والأئمة. ولذلك «فلا أحد يسلم من البدعة، ولا يسلم له عقيدة إلا أن يسلم كما أسلم السلف، وأن يفهم النصوص كما فهموا، ويترك علم ما لم يكلف، وهذا مسلك أئمة السنة»(٢١٢).

ومن عَدلَ عن سبيلهم «وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم أو غير الحق، وهذا مما حرمه الله ورسوله...»(٢١٣).

فالشاهد على المتخاصمين، الحَكَمُ بين المتنازعين: النظر في حال السلف، وهل كانوا يفهمون هذه النصوص على هذا النحو أم لا؟ وهل كانوا آخذين فيها؟ أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟!! مع القطع بتحققهم بفهم القرآن، ويشهد لهم بذلك النبي ﷺ، والجم الغفير، فلينظر امرؤ أين يضع قدمه»(٢١٤).

الخاتمة

بعد استكمال هذا البحث، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، يَحسُن بالباحث أن يُنبه إلى أبرز النتائج التي ظهرت له من خلاله، ومن أهمها:

١- أن ألفاظ الفهم والفقه والعلم، متقاربة المعاني إن لم تكن مترادفة، والفهم التام هو ثمرة التدبر والتأمل بعد فهم التفسير، والتفسير المنقول عن السلف هو الكاشف عن بعض فهمهم للآيات القرآنية.

٢- أن الفهم نوعان: ذهني معرفي وهو فهم الخطاب الشرعي لتقوم به الحجة على المكلف، ويشمل تفسير الغريب واستنباط الأحكام، وآلته علم العربية والمعاجم. والآخر: قلبي إيماني: ينكشف للمتأمل والمتدبر حين يمعن النظر في النصوص الشرعية، وآلته زكاة النفس وقوة الإيمان.

٣- أن مصطلح السلف له إطلاقان: الأول: إطلاقه على الحقبة التاريخية لصدر هذه الأمة، وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين الذين شهد لهم النبي ^ بالخيريَّة، وهذا هو المعنيّ في هذا البحث. الثاني: المصطلح المنهجي: وهو كل من كان على ما عليه النبي ^ وأصحابه من أمور الدين، وذلك شامل لما كانوا عليه في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق وإن تأخر بهم الزمان، وهذا المصطلح هو المرادف لمصطلح «أهل السُّنة والجماعة». وهو الذي يجوز أن ينتسب إليه المتأخرون بشرط التزام منهج السلف المتقدمين في التلقي والاستدلال والقول بقولهم وما فهموه من مسائل الاعتقاد والأصول التي تميزهم عن أهل الأهواء والبدع.

٤- أن المراد بفهم السلف هو: ما عَلِمَه وفَقِهَه واستنبَطه الصحابة والتابعون وأتباعهم من مجموع النصوص الشرعية أو أفرادها مرادًا لله تعالى ولرسوله ﷺ مما يتعلق بمسائل الدين العلمية والعملية، مما أُثر عنهم بقول أو فعل أو تقرير بشرط عدم المخالف من نص أو قولٍ مماثلٍ.

٥- ضرورة التفريق بين ما كان فهمًا لبعض السلف و«فهم السلف»، فالثاني يقتضي إجماعهم أو اتفاق جمهورهم مع عدم وجود المخالف منهم، بينما الأول يدخل فيه اجتهاد أفرادهم في بيانهم لبعض الأحكام الجزئية، أو تفسيراتهم لبعض الآيات القرآنية التي اختلفوا فيها وتعددت أقوالهم، أو لم يشتهر ذلك عنهم، أو جانب بعضهم الصواب فيها.

٦- أن الوقوف على فهم السلف للنصوص الشرعية هو المتعين على طالب العلم المريد للحق بعد الوقوف على نصوص الكتاب والسنة.

٧- أن أكبر أسباب الابتداع في الدين والانحراف عن المنهج الحق (الوسط) والوقوع في الغلو والإفراط أو في الجفاء والتفريط قديمًا وحديثًا هو الانحراف في فهم النصوص الشرعية، والتفلت من فهم السلف لها. ولذلك ظهرت بعض التيارات الفكرية المعاصرة والمنابذة للحق.

٨- أن منشأ أكثر الشبهات التي تصرف الناس عن الحق هو الخطأ في الفهم للدليل الشرعي، فيفهمه الإنسان على غير مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ. وقد يكون بسبب الذهول عن الدليل أصلاً وعدم الوقوف عليه أو لاعتقاد معارض راجح.

٩- أن الضابط للفهم الصحيح للنصوص الشرعية هو متابعة فهم السلف الصالح لها.

١٠- أن كل اعتقاد وعمل تعبدي فهو مبني على ما فَهِمَه المتعبد من النصوص الشرعية مرادًا لله ورسوله ﷺ إن صوابًا أو خطأً، ولذا فاعتقاد السلف وتعبدهم مبني على ما فَهِمُوه مرادًا لله ورسوله. والاعتقاد والتعبد المخالف لما كانوا عليه فهو مخالف لما فهموه مرادًا لله ورسوله، وما تركوه مع وجود المقتضي فهو مما لم تدل عليه الأدلة الشرعية حسب فهمهم، وليس مرادًا لله ولرسوله عندهم، فهو إذًا ليس من الدين في شيء عندهم، وليس عليه أمر الله ورسوله ومن ثمَّ فهو رد، وعليه فكل فهم في العقيدة لم يفهمه السلف فهو محدث باطل.

١١- أن إتباع السلف في فهمهم أصبح شعارًا لأهل السنة والجماعة، وأصلًا من أصولهم، كما أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال إتباع السلف.

١٢- أن القول باعتماد ما أجمع عليه السلف من فهم نصوص الكتاب والسنة ليس إغلاقًا لباب التدبر في كلام الله تعالى كما أمر عز وجل، فكلام الله تعالى لا تنقضي عجائبه، فهناك مساحات شاسعة للتدبر من جهة دلالة النصوص على بعض المعاني الثانوية الأخرى، ومن جهة استنباط الأحكام المستجدة، ومن جهة ثالثة نظر القارئ لحاله مع هذه الآيات، وأين موقعه من تطبيقها أو انطباقها عليه وهذا جانب مهم من التدبر، وهو ما غفل عنه كثير من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم.

١٣- تختلف حجية قول آحاد السلف فيما إذا كان عن صحابي أو من دونه، وإذا كان مجمعًا عليه أم لا. وإذا كان خالفه غيره منهم أم لا. وكلما كان العهد إلى الرسول أقرب كان الصواب أغلب، وهذا حكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد، ففهم الصحابة أولى من فهم التابعين، وفهم التابعين أولى من فهم أتباع التابعين.

١٤- فهم السلف يشمل فهمهم للأصول الكلية لأصول الدين وفروعه، كما يشمل فهمهم لنص شرعي بعينه، ويشمل الاجتهاد في مسألة من المسائل التي لم يرد فيها نص أيضًا.

١٥- الاقتداء بفهم السلف يتناول تلك المسائل التي بيَّن فيها السلف فهمَهم بقول أو فعل أو تقرير، كما يشمل الاقتداء بهم في مسالك العلم والعمل ومناهج الاستدلال وترتيب الأدلة، وطريقة النظر في مسائل الخلاف والترجيح.

١٦- أن السلف الصالح قد وجدوا أنفسهم بعد الفتوحات أمام حوادث وأعراف ومستجدات لا تنتهي ومجتمعات مختلفة وألسنة وثقافات متعددة، فاجتهدوا في استنباط الأحكام وسُبل التعامل معها من الكتاب والسنة بما يُبين الحق

ويزيل الشبهة إيمانًا منهم بأن الكتاب والسنة صالح ومصلح لكل زمان ومكان، وفيهما الغنية عما سواهما فلم يحوجهم ذلك إلى رأي فلان ولا إلى الفلسفة والمنطق اليونانيين.

١٧- أن كثيرًا من المخالفين للسلف من كبار أهل الكلام وغيرهم رجعوا إلى الوحي وإلى ما فهمه السلف بعد أن ذاقوا مرارة البعد عنه، وعلموا ضياع أنفسهم حين نأوا عنه، وأقروا على أنفسهم بالخطأ.

١٨- أن علم السلف الصالح أتم وأحكم، وأعلم وأسلم ممن جاء بعدهم، لأنهم كانوا أعرف الناس بالحق وأدلته، وبطلان ما يعارضه، فلهذا ـ ولاعتبارات أخرى كثيرة ـ كان فهمهم لنصوص الشريعة مقدمًا على فهوم مَن بعدهم.

١٩- أن للسلف الصالح من الخصائص والميزات التي لا تجتمع في غيرهم ما يوجب تقديم فهمهم على فهوم المتأخرين كسلامة مصادرهم في التلقي، وحرصهم على العلم وفهمه والعمل بما عملوه، ومشاهدتهم الوحي والتنزيل مما أورثهم مزيد فهم لا يشاركهم فيه غيرهم، كما أنهم أعظم الناس عقلاً وفهمًا وحسًّا وإدراكًا وذلك ثمرة قوة إيمانهم وتقواهم.

٢٠- أن السلف أعلم الناس بلغة القرآن ولغة نبيهم ^، ولغتهم هي اللغة المعتمدة في فهم النصوص الشرعية دون اللغة الحادثة، وما طرأ عليها في العصور التالية من دلالات الألفاظ مما لا ينبغي تحكيمه في فهم القرآن الكريم.

٢١- أن من موروث السلف ما عده العلماء «سنة»، ولذلك لاقى من العلماء ما يليق به من العناية والحفظ والتدوين.

٢٢- أن الأمر بإتباع السلف الصالح والحث عليه قد دلت عليه الدلائل الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية وموروثات السلف أنفسهم ومن جاء من بعدهم من أئمة الهدى ودين الحق المقتدى بهم. وكذلك دل عليه الإجماع والعقل والاعتبار الصحيح.

٢٣- أن التأويل المذموم ـ عند المتأخرين ـ هو ثمرة الفهم السقيم للنصوص الشرعية المخالف لفهم السلف الصالح.

٢٤- إن فهم السلف هو السبيل الوحيد لمعرفة مراد الله ومراد رسوله ﷺ، وهو الحاسم لمادة الابتداع المغلق لبابها الضابط في معرفة السنة من البدعة، العاصم من الفُرقة والاختلاف المُورث للطمأنينة النفسية القاضي على عوامل الشك والارتياب.

الهوامش

(١) ينظر: إعلام الموقعين (١/٨٧، ١٣٠).

(٢) هناك بحث متعلق بهذا الموضوع وهو الشبهات المثارة حوله. يسَّر الله إتمامه.

(٣) لسان العرب مادة (فهم) (١٢/٤٥٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة (فهم) (٤/ ٤٥٧).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٣/١٧٢) وذكر الشنقيطي أن ذلك باجتهاد من النبيين. ينظر أضواء البيان (٤/٥٩٧).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/١٧٧).

(٧) أخرجه الدارمي في السنن، المقدمة، باب: «من قال: العلم الخشية وتقوى الله» ح:٣٠٣ (١/٧٥). وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف، مضطرب الحديث.

(٨) كتاب العلم. باب: الفهم في العلم، ح: (٧٢)، (فتح ١/١٩٨).

(٩) فتح الباري (١/١٩٩).

(١٠) تذكير الخلف بوجوب اعتماد فهم السلف. وليد بن راشد السعيدان (ص٢).

(١١) لسان العرب (فقه) (١٣/٥٢٢). وينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٤٦٥).

(١٢) فتح الباري (١/١٩٨). وينظر المفردات في غريب القرآن للراغب (ص٣٨٤).

(١٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء (١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (٢٤٧٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١٤) النهاية (٣/٤٦٥). وينظر اللسان (٣/٥٢٢).

(١٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يُفَقِّهْه، (٧١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة من أمتي...»، (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه..

(١٦) المفردات (ص٣٨٤).

(١٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/١٣٨).

(١٨) إعلام الموقعين (١/٣٣٢).

(١٩) بتصرف من مقال د. عمر المقبل. من جامعة القصيم بعنوان: مفتاح حياة القلب (٢/٢). منشور في الشبكة في موقع المسلم بتاريخ ١٤٢٨/٩/٦هـ. ولعل هذا التفريق بين النوعين يحل إشكال: هل فهم الحجة مطلوب أم يكفي بلوغها.

(٢٠) رواه ابن جرير في تفسيره. برقم (٧١) (٧٥/١). وينظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (ص١١٥).

(٢١) أخرجه البخاري في: الجهاد، باب: فكاك الأسير، ح: (٣٠٤٧) (١٩٣/٦) ومسلم في الإيمان، ح: ١٣١. وغيرهما.

(٢٢) وهو يختص بعلوم الخاطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات، وهو ما تفردت به الصوفية. ينظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص١٠٠). وينظر تفصيل هذا الموضوع وفرق ما بين فهم السلف والتفسير الباطني وتفسير الصوفية: «الموافقات للشاطبي» (٢٣١/٤ ـ ٢٦١)، وكتاب: «التفسير والمفسرون» للدكتور/محمد حسين الذهبي رحمه الله (٣٣٧/٢ ـ ٤١٦). و (٣٧٧/٢) في شروط وضوابط قبول التفسير الإشاري.

(٢٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥/٣) مادة (سلف).

(٢٤) ينظر: القاموس المحيط (١٥٣/٣) ولسان العرب (١٥٩/٩) مادة (سلف). وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٩٠/٢).

(٢٥) ينظر: تهذيب اللغة (٤٣١/١٢ ـ ٤٣٢) مادة (سلف) والمصادر المذكورة أعلاه.

(٢٦) تفسير الطبري (٨٥/٢٥).

(٢٧) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه... (٦٢٨٥). ومسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل فاطمة، (٢٤٥٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢٨) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: من تصدق في الشِّرك ثم أسلم، (١٤٣٦)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، (١٢٣).

(٢٩) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جَوْرٍ إذا أُشْهِدَ (٢٦٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، (٢٥٣٥).

(٣٠) ينظر: التحف من مذاهب السلف للشوكاني (ص٧ ـ ٨، ١١) ولوامع الأنوار البهية (٢٠/١) ووسطية أهل السنة بين الفِرق د. محمد بن باكريم (ص٩٨).

(٣١) ينظر: فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب (ص٦٠) تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

(٣٢) الشريعة (١/١٧٥).

(٣٣) كالغزالي في إلجام العوام (ص٥٣) تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

(٣٤) وهو قول عدد من شراح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني. ينظر: وسطية أهل السنة (ص٩٧). وانظر (ص١٨) من اطلاقه على الصحابة من قِبل التابعين.

(٣٥) كالبيجوري في تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص٩١)، ط. أولى ١٤٠٣ بدار الكتب.

(٣٦) تهذيب الأسماء واللغات (٣/٢٦٩) وينظر: اللسان (١٣/٣٣٤) مادة (قرن).

(٣٧) النهاية (٤/٥١).

(٣٨) اللسان (١٣/ ٣٣٤).

(٣٩) فتح الباري (٧/٨) وينظر: لسان العرب (١٣/٣٣٤).

(٤٠) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٠٠) والطبراني والبزار كما في مجمع الزوائد (٩/٤٠٤)، قال الهيثمي: «رجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي وهو ثقة». وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة (٦/٥٣٥)، والشوكاني في در السحاب (ص٤٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٢٦٦٠).

(٤١) النهاية في غريب الحديث (٤/٥١) وفتح الباري (٧/٨) وعون المعبود (١٢/٤١٠).

(٤٢) النهاية في غريب الحديث (٤/٥١).

(٤٣) فتح الباري (٧/٨).

(٤٤) فتح الباري (٧/٨).

(٤٥) التهذيب مادة (ق. ر. ن) (٣/٢٠٥).

(٤٦) ينظر عون المعبود (١٠/١٧٤)، باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤٧) تهذيب الأسماء واللغات (٣/٢٦٩). وينظر: فتح الباري (٧/٨) والمجموع المغيث (٢/٦٩٩) والنهاية (٤/٥١) ولسان العرب (١٣/٣٣٣) وشرح مسلم للنووي، ح: ٣٥٣٥ (١٦/٨٥) وفتح الباري، ح: ٣٦٥٠ (٧/٥) وعون المعبود (١٢/٤١٠).

(٤٨) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة...، (٢٣٣١)، بنحوه، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب: الأمل والأجل، (٤٢٣٦)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وحسَّنه الألباني في الصحيحة برقم: (٧٥٧).

(٤٩) الفتح (٨/٧).

(٥٠) شرح صحيح مسلم للنووي (٨٥/١٦).

(٥١) مجموع الفتاوى (٣٥٧/١٠).

(٥٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي ^ ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، ح: ٢٦٤٩ (٥/٧)، ومسلم في فضائل الصحابة. باب: فضائل الصحابة، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ح: ٢٥٣٢ (١٩٦٢/٤).

(٥٣) تقدم تخريجه (ص٩).

(٥٤) فتح الباري (٩/٧ ـ ١٠).

(٥٥) كتاب: فضائل أصحاب النبي ^ (٣٦٥١)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم (٢٥٣٣).

(٥٦) (الفحولة): جمع فحل: وهو الذكر من الحيوان. وأجرى: من الجري. (وأجسر): أي: أقدم على المسالك الوعرة.

(٥٧) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الجهاد والسير ، تحت باب: الركوب على الدابة... ورقمه (٥٠).

(٥٨) تقريب التهذيب (ص٢٠٤، ط. عوامه) عده الحافظ من الطبقة الثالثة، وهي الوسطى من التابعين، توفي رحمه الله سنة: (١٠٨هـ) وقيل: (١١٣).

(٥٩) مقدمة صحيح مسلم (١٦/١).

(٦٠) ينظر ميزان الاعتدال للذهبي (٢٤٩/٣).

(٦١) صحيح البخاري (٥٤٢٣). وينظر: ضوابط فهم السنة النبوية (ص١٥) د. عبد الله بن وكيل الشيخ، ضمن ندوة فهم السنة النبوية، المقامة في الرياض، في ١٤٣٠/٦/٤هـ.

(٦٢) لوامع الأنوار (٢٠/١).

(٦٣) سير أعلام النبلاء (١٢١/٧).

(٦٤) أخرجه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٢٦٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو. وقال: «هذا حديث حسن غريب، مُفَسَّر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه». وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢١٢٩).

(٦٥) في النسبة إلى السلف ينظر: الأنساب للسمعاني (٢٧٣/٣)، أو مختصره اللباب لابن الأثير (١٢٦/٢).

(٦٦) مجموع الفتاوى (١٤٩/٤).

(٦٧) السير (٤٥٧/١٣).

(٦٨) وهناك تفصيل لهذه العلاقة في بحث: «مفهوم أهل السنة والجماعة» يسر الله إخراجه.

(٦٩) شرح السُنَّة للبربهاري (ص٥٧).

(٧٠) ينظر اعتقاد الإمام أحمد في شرح الأصول (١٦٠/١ ـ ١٦٤) واعتقاد علي بن المديني (١٦٥/١ ـ ١٦٩) واعتقاد أبي زرعة وأبي حاتم وجماعة من السلف (١٧٦/١ ـ ١٧٧).

(٧١) حكم الانتماء لبكر أبو زيد (ص٣٦).

(٧٢) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية. د. مفرح القوسي (ص٢٨).

(٧٣) إعلام الموقعين (١٥٣/٤).

(٧٤) جامع العلوم والحكم (ص٧٩).

(٧٥) مجموع الفتاوى (٢٣٥/١٢).

(٧٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح: ١٨٦٧٨، والنسائي في الكبرى ح: ٨٥٧٥ (١٦٦/٥)، والحاكم في المستدرك ح: ٢٦٥٦ (١٦٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٨).

(٧٧) البيت للمتنبي. ينظر ديوانه بشرح الواحدي (١٧١/١).

(٧٨) أخرجه البخاري في صحيحه ح (١٠١٠) ومسلم (٨٩٧).

(٧٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٦/١). وطبقات الحنابلة (٢٤١/١).

(٨٠) مجموع الفتاوى (١٥٥/٤).

(٨١) مجموعة الرسائل الكبرى (٤١٧/١).

(٨٢) ينظر: إعلام الموقعين (١٢٧/٤).

(٨٣) ينظر المصدر نفسه (١٢٦/٤).

(٨٤) مجموع الفتاوى (١٤/٢٠).

(٨٥) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص٢٠)، ونقله عنه الحافظ في النكت (٥٣١/٢) وتعقبه والسخاوي في فتح المغيث (١٤٣/١) وتعقب ابن حجر، وينظر قريب منه المستدرك (٢٨٥/٢) ط. دار الفكر. وينظر حاشية سنن أبي داود (٤١٣/٢).

(٨٦) إعلام الموقعين (١٥٣/٤).

(٨٧) المصدر السابق (١٥٥/٤).

(٨٨) مناقب الشافعي للرازي (ص٤٩) وينظر إعلام الموقعين (٨٠/١) ونسبه إلى الشافعي في الرسالة البغدادية القديمة.

(٨٩) إعلام الموقعين (١٤٧/٤). وينظر المصدر نفسه (٨١/١).

(٩٠) إعلام الموقعين (٣١/١).

(٩١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة ح: ٢١٦٧ (٤٦٦/٥)، والدارمي في المقدمة. باب (٨)، وأحمد في المسند (١٤٥/٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع ح: ١٨٤٨.

(٩٢) إعلام الموقعين (٢٨٣/٣).

(٩٣) المصدر نفسه (١١٨/٤).

(٩٤) ينظر: ضوابط فهم السنة النبوية ـ مقالة د. عبد الله بن وكيل الشيخ ضمن ندوة فهم السنة الضوابط والإشكالات (ص١٩). منشور على شبكة السنة النبوية وعلومها.

(٩٥) المصدر نفسه (ص١٩).

(٩٦) الرسالة (٢٠/١).

(٩٧) مجموع الفتاوى (٢٠٠/١٩) وينظر (٢٨٥/١٩) والفتاوى الكبرى (٤٩١/١).

(٩٨) مجموع الفتاوى (٢٠٠/١٩).

(٩٩) ينظر بعض هذه التحسرات والتأوهات والاعترافات لثلة من أساطينهم: شرح الطحاوية (ص ٢٢٧). فما بعدها.

(١٠٠) قال شيخ الإسلام مبينًا أسباب الخلاف الوارد في الأمة: «قد يكون لخطأ الدليل والذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون للغلط في فهم النص، وقد يكون لاعتقاد معارض راجح». مقدمة في أصول التفسير (ص٥٥). وينظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

(١٠١) درء التعارض (١٧٩/٧).

(١٠٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٢/١ ـ ٢٣).

(١٠٣) أخرجه أحمد (٣٨٧/٣)، والدارمي (٤٣٥)، وابن أبي عاصم في السنَّة (٥٠)، والبزار (١٢٤ ـ كشف الأستار)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٧)، والبغوي في شرح السنَّة (١٢٦) من حديث جابر، وفيه: مجالد بن سعيد وهو ضعيف، وله شواهد من أجلها حسَّنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

(١٠٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب السنَّة، باب: اتباع الخلفاء الراشدين (٤٣)، وأحمد (١٢٦/٤)، والحاكم (٩٦/١) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٩٣٧).

(١٠٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾...، (٧٥٢٧).

(١٠٦) أخرجه الدارمي في المقدمة. باب: من لم ير كتابة الحديث. ح: (٤٧٧).

(١٠٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ح: ١٨٤٤ (١٤٧٢/٣).

(١٠٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٣/٥، ١٦٢).

(١٠٩) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ ح: ٣١٩٢ (٢٨٦/٦) ومسلم بنحوه في الفتن، باب: إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة ح: ٢٨٩٢ (٢٢١٧/٤). و

وأخرج البخاري نحوه عن حذيفة في كتاب القدر، باب: ﴿وكان أمر الله قدرًا مقدورًا﴾ ح: ٦٦٠٤ (٤٩٤/١١).

(١١٠) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب رسول الله ^ (٥٠٠٢)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل ابن مسعود وأمه، (٢٤٦٢)، بنحوه.

(١١١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه، (١٠٣).

(١١٢) كتاب القرآن. باب: ما جاء في القرآن ح: (١١) (٢٠٥/١).

(١١٣) مقدمة في أصول التفسير (ص٣٧).

(١١٤) مجموع الفتاوى (٣٥٣/١٧).

(١١٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٢/٥٢٤).

(١١٦) ذكره عنه ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠٨).

(١١٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، (٥٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(١١٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، برقم: (٩٩٧٨) (١٠/٤٦٠)، والفريابي في فضائل القرآن، برقم (١٦٩)، والطبري في تفسيره (١/٨٠).

(١١٩) أخرجه ابن جرير في التفسير (١/٤٤).

(١٢٠) مقدمة في أصول التفسير (ص٩١).

(١٢١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٣٣٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/٣٩٨).

(١٢٢) في الأصل: «مرادهم».

(١٢٣) مجموع الفتاوى (١٩/٢٠٠).

(١٢٤) الموافقات (٤/١٢٨).

(١٢٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب: جماع أبواب الخير، باب: جواز انفراد الرجل والرجال بالغزو في بلاد العدو (٩/٩٩).

(١٢٦) أخرجه البخاري في كتاب الحَجّ، باب: وجوب السعي بين الصَّفا والمروة... (١٦٤٣)، ومسلم في كتاب الحَجِّ، باب: بيان أن السعي بين الصَّفا والمروة ركن... (١٢٧٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٢٧) ينظر: تفسير الطبري (٩/٤٤).

(١٢٨) ينظر: البخاري كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا...﴾ ح: (٤٢٩١)، ومسلم ح: ٢٧٧٨.

(١٢٩) الموافقات (٤/١٢٨).

(١٣٠) الموافقات (٤/٢٥٣).

(١٣١) سير أعلام النبلاء (١٠/٧٤).

(١٣٢) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (١/٢٣٦).

(١٣٣) منهج السياق في فهم القرآن (ص٣٦) د. عبد الرحمن بودرع. كتاب الأمة العدد ١١١ محرم ١٤٢٧هـ.

(١٣٤) مجموع الفتاوى (١/٢٤٣).

(١٣٥) مجموع الفتاوى (٤/٩).

(١٣٦) ينظر بعض هذه الموافقات: الشريعة للآجري (٢/٣٠١).

(١٣٧) حلية الأولياء (١/٣٠٥).

(١٣٨) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ (ص٤١٨ ـ ٤١٩).

(١٣٩) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٣١٩).

(١٤٠) سنن أبي داود (عون المعبود ١٢/٣٦٥)، والشريعة للآجري ح: ٥٢٩ (١/٥٥٥) وابن بطه في الكبرى ح: ٥٦٠ (٢/٣٣٥).

(١٤١) تقديم تخريجه (ص٢٥).

(١٤٢) مناقب الشافعي للرازي (ص٤٩)، وإعلام الموقعين (١/٨٠) ونسبه إلى الشافعي في الرسالة البغدادية القديمة.

(١٤٣) تقدم تخريجه (ص١٨).

(١٤٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب: فضل من عَلِم وعلَّم ح: ٧٩ (١/٢١١)، ومسلم في الفضائل. باب بيان مثل ما بعث النبي ^ من الهدى والعلم ح: ٢٢٨٢ (٤/١٧٨٧).

(١٤٥) مجموع الفتاوى (٤/٩٢ ـ ٩٣).

(١٤٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٤٨٨) (١١/٢٥٩).

(١٤٧) الموافقات (٤/٤).

(١٤٨) ينظر: ضوابط فهم السنة د. عبد الله وكيل الشيخ (ص١٨).

(١٤٩) وهذه أكثرها، وهناك كتب حديثة عنيت بتراث السلف مثل: منهج أهل السنة في تدوين العقيدة للحنيف، وتدوين علم العقيدة للطريف، وتاريخ تدوين العقيدة السلفية للبرجس، وغيرهم.

(١٥٠) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٠). وينظر بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص٣٨).

(١٥١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣١٨٠) والبيهقي في المدخل (ص٢٣١) والخطيب في الجامع (٢/١٧٤).

(١٥٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٣١/٦).

(١٥٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٧٤/٢) وينظر إيضاح الحجة (ص١٣٤).

(١٥٤) قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة القيرواني (٣/١)، د. عبد المحسن العباد.

(١٥٥) تذكير الخلف بوجوب اعتماد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة (ص٨) للشيخ وليد بن راشد السعيدان.

(١٥٦) إعلام الموقعين (١٢٣/٤) وقد فصل ابن القيم في ست صفحات دلالة هذه الآية على وجوب اتباعهم رضي الله تعالى عنهم، ثم ذكر ستة وأربعين وجهًا في الاستدلال على وجوب اتباعهم يحسن الرجوع إليها. إعلام الموقعين (١٢٣/٤ ـ ١٥٢).

(١٥٧) ينظر المصدر السابق (ص٩).

(١٥٨) ينظر: زاد المسير (١٣٤/١) وذكر قولين آخرين.

(١٥٩) مجموع الفتاوى (٢/٤).

(١٦٠) تفسير ابن كثير (٣٦٥/٢).

(١٦١) ومن أول من استدل بها الشافعي في أحكام القرآن (١٨، ١٩). وينظر كلامه في حجية الإجماع: الرسالة (ص٤٧١)، وكلام ابن كثير في استدلال الشافعي بها على الإجماع في التفسير (٤١٤/٢) ط. دار طيبة ١٤٢٢هـ. وينظر: التمهيد لابن عبد البر (١٤٣/١) ط. وزارة الأوقاف بالمغرب، والفقيه والمتفقه للبغدادي (٤٠٠/١) ط. ١٤٢١هـ، وقواطع الأدلة في الأصول (٤٦٤/١) وروضة الناظر (١٣١/١)، ومجموع الفتاوى (١٧٨/١٩ ـ ١٧٩)، وإعلام الموقعين (١٥٢/٤) وغيرها.

(١٦٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، وذكر فيها أقوالاً ثلاثة قال: «والقول الثالث الوسط أنها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم، ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له الهدى».

(١٦٣) تفسير ابن سعدي (١٦٥/٢).

(١٦٤) تذكير الخلف بوجوب اعتماد فهم السلف (ص٨). وينظر تفسير ابن سعدي (١٦٤/٢).

(١٦٥) ينظر: المصدر السابق (ص٨).

(١٦٦) البخاري، ح: ٣١٦١. الوسط: العدل.

(١٦٧) ينظر في دلالة الآية على المطلوب: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٤٠٦/١)، قواطع الأدلة في الأصول (٤٦٤/١)، الإبهاج شرح المنهاج للسبكي (٣٥٨/٢)، إرشاد الفحول (ص١٤٠).

(١٦٨) إعلام الموقعين (١٣٣/٤).

(١٦٩) رواه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود (٢٠٠/٤) والترمذي (٤٤/٥) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٨/١) وصححه الألباني في الصحيحة ح: ٢٧٣٥.

(١٧٠) القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم، لمحمد هشام بن لعل محمد طاهري (ص٧٥٣). وانظر توجيه ابن القيم لدلالة هذا الحديث: إعلام الموقعين (١٤٠/٤).

(١٧١) الاعتصام (٨٨/١). وينظر (١٨٧/١).

(١٧٢) تقدم تخريجه وبنحوه حديث أبي هريرة عن النبي ^، أنه قال حين سئل: أي الناس خير؟ فقال: «أنا ومن معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر» رواه أحمد (٢٩٧/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧٨/٢) بسند حسن. وورد من حديث واثلة رفعه: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني» أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٨/١٣)، وإسناده حسن. قاله الحافظ في الفتح (٧/٧).

(١٧٣) انظر: معجم فقه السلف، لمحمد المنتصر الكتاني (٧/١).

(١٧٤) نص على ذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة (١٢/١)، والسيوطي في متواتره. والكتاني كذلك (٧/١).

(١٧٥) إعلام الموقعين (١٣٦/٤).

(١٧٦) مجموع الفتاوى (٢٤/١٣).

(١٧٧) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ^، باب: قول النبي ^: «لو كنت متخذًا خليلاً»، (٣٦٧٣)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: تحريم سبّ الصحابة، (٢٥٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٧٨) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، (٢٥٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(١٧٩) ينظر توجيه دلالات هذه النصوص: إعلام الموقعين (١٣٧/٤) فما بعدها.

(١٨٠) أثر الإتجاه العقدي في التفسير (ص٤٢). رسالة جامعية ـ ماجستير ـ للباحث/ ياسر بن ماطر المطرفي، جامعة الإمام، قسم العقيدة (١٤٣٠هـ).

(١٨١) رواه الطبراني في الكبير (٢٤٩/٣)، والأوسط (٢٩٤/٨) قال الهيثمي في المجمع (٣٠٣/٣): «وفيه: عبد الله بن صالح وقد وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في: الصحيحة، ح: ٣١٦٥.

(١٨٢) ينظر أيضًا إعلام الموقعين (١٣٩/٤) ففيه جملة نفيسة من هذه النصوص.

(١٨٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٧٢٨٢) بنحوه.

(١٨٤) إعلام الموقعين (١٣٩/٤).

(١٨٥) سنن الدارمي (٦٦/١) و(١٦٤/١).

(١٨٦) رواه ابن بطة في الإبانة (٣١٩/١).

(١٨٧) رواه أبو داود في سننه، عون المعبود (٣٦٥/١٢)، والآجري في الشريعة رقم: ٥٣٩ (٥٥٥/١)، وابن بطه في الإبانة ح: ٥٦٠ (٣٣٥/٢). وبنحوه جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة. ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٧ـ ٨).

(١٨٨) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٣/٦).

(١٨٩) أخرجه الآجري في الشريعة رقم: ١٢٧ (٢٦٢/١).

(١٩٠) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (ص١٥٥)، تحقيق: عواد المعتق.

(١٩١) الشفاء للقاضي عياض (٧١/٢).

(١٩٢) رواه الدارمي في سننه المقدمة باب: في رسالة عباد بن عباد الخواص ح: ٦٥٥ (١٢٧/١) في رسالة طويلة.

وقد نقلت هذه النصيحة مع طولها لما فيه من العمق والمعاني الدقيقة، وحاجتنا إلى مثلها في هذه العصور المتأخرة.

(١٩٣) الإبانة عن أصول الديانة (ص٨). وينظر: العين والأثر (ص١١٠).

(١٩٤) الرسالة إلى أهل زبيد (ص٩٩).

(١٩٥) العلو للعلي الغفار (ص١٦).

(١٩٦) مجموع الفتاوى (١٥٨/٤).

(١٩٧) (ص٢٩).

(١٩٨) ينظر ضوابط فهم السنة، د. عبد الله وكيل الشيخ (ص١٧).

(١٩٩) درء تعارض العقل والنقل (٣٨٣/٥).

(٢٠٠) ينظر: الاستقامة (٧٩/١). ومجموع الفتاوى (٢٣/٤) وغيرها.

(٢٠١) ينظر: شرح الطحاوية (ص٢٢٧ ـ ٢٢٨)، وللباحث بحث في جمع هذه التراجعات ودراستها وتحليلها. يسَّر الله إخراجه.

(٢٠٢) نقض المنطق (ص٤٢).

(٢٠٣) العقيدة النظامية (ص٣٣) تحقيق: الكوثري، ط ١٤١٢هـ، المكتبة الأزهرية.

(٢٠٤) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ص١٨٠)، ط التويجري.

(٢٠٥) الموافقات (٥/١).

(٢٠٦) شفاء العليل (١٨/١).

(٢٠٧) أخرجه الدارمي في سننه ح: ١٢١ (٤٧/١)، والآجري في الشريعة ح: ٩٣ (٢٤٠/١)، واللالكائي في شرح الأصول ح: ٢٠٣ (١٢٣/١)، والأصبهاني في الحجة (ص٢٤٨).

(٢٠٨) مقدمة في أصول التفسير (ص٩١).

(٢٠٩) مجموع الفتاوى (٢٤٣/١٣). وينظر (٣٦١/١٣) و(٩٤/١٥) و(٥١/١٦).

(٢١٠) أخرجه معمر بن راشد في جامعة (٢٠٣٦٨) وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (١٧) وسعيد بن منصور برقم (٤٢) تحقيق الحميد، والخطيب في الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السامع (١٩٤/٢)، برقم: (١٥٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم ٢٠٨٦). وانظر: كنز العمال رقم: (٤١٦٧).

(٢١١) مجموع الفتاوى (١٥٨/٤).

(٢١٢) إيثار الحق على الخلق (ص١٢٢).

(٢١٣) مجموع الفتاوى (٢٨٨/٧).

(٢١٤) ينظر: الموافقات (٣٧٦/٣). وينظر: القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (ص٧٥٩).

المصـــادر والمراجــع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة للشيخ الإمام أبو عبـد الله عبيـد الله بـن بطـة العكبـري تحقيـق د. عثمـان عبـد الله آدم ط. الأولى (١٤١٥) ن. دار الراية للنشر والتوزيع .

٢- الإبهاج شرح المنهاج للسبكي، ط. الأولى (١٤٠٤)، ن. دار الكتب العلمية.

٣- أثر الاتجاه العقدي في التفسير (رسالة جامعية مقدمة لدرجة الماجستير في العقيدة في جامعة الإمام)ياسر بن ماطر المطرفي .

٤- اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق تحقيق د. عواد عبد الله المعتق ط. الأولى (١٤٠٨) ن. مطابع الفرزدق بالرياض.

٥- أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ) ط. ١٤١٩هـ، ن. دار الكتاب العربي.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام شهاب الدين العسقلاني تحقيق د: طه محمد الزيني ط. الاولى (١٣٩٦) ن. مكتبة الكليات الأزهرية.

٨- إعـلام المـوقعين لابـن قـيم الجوزيـة راجعـه وقـدم لـه وعلـق عليـه طـه عبد الرءوف سعد ط.بدون ن. دار الجيل ببيروت

٩- إلجام العوام للغزالي محمد المعتصم بالله البغدادي

١٠-الأنـساب للإمـام أبـي سـعد عبـدالكريم ابـن محمـد التميمـي الـسمعاني ط. الأولى (١٤٠٨) ن. دار الكتب العلمية.

١١- إيثـار الحـق علـى الخلـق أبـي عبـد الله محمـد بـن المرتـضى اليمـاني ط. (١٣١٨) ن. دار الكتب العلمية.

١٢- إيضاح الحجة في بيان سبيل السلف فيصل بن قزار الجاسم ط. الأولى (١٤٣٠) ن. المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة بالكويت.

١٣- بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد بن ناصر العجمي ط. الأولى (١٤٠٤) ن. دار الأرقم للنشر والتوزيع بالكويت

١٤- التحف من مذاهب السلف محمد بن علي الشوكاني ط. مطبعة المدني ن. الجامعة الإسلامية.

١٥- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد إبراهيم بن محمد البيجوري ط.الأولى (١٤٠٣) ن. دار الكتب العلمية .

١٦- تذكير الخلف بوجوب اعتماد فهم السلف وليد بن راشد السعيدان.

١٧- تعريف الخلف بمنهج السلف د: إبراهيم بن محمد البريكان ط. الأولى (١٤١٨) ن . دار ابن الجوزي .

١٨- تفسير ابن جرير المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ط . الثالثة (١٣٨٨) ن . طبعة الحلبي وشركاه

١٩- تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحالي الفاروق وزملاءه طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

٢٠- تفسير البغوي (معالم التنزيل) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وزميليه ط.الأولى (١٤٢٣) ن. دار طيبة.

٢١- تفسير القاسمي المسمى محاسن التفسير لمحمد جمال الدين القاسمي ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط. الثانية (١٣٩٨) ن. دار الفكر ببيروت .

٢٢- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير تحقيق عبد العزيز غنيم وزميليه ط. بدون ن. دار الشعب بالقاهرة .

٢٣- التفسير والمفسرون ل د: محمد حسين الذهبي

٢٤- تقريب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ط. الأولى (١٤٠٦) ن. دار الرشيد – حلب.

٢٥- التمهيد لابن عبد البر، ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب. ١٣٨٧هـ.

٢٦- تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ط (١٤١٦) ن. دار الفكر .

٢٧- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ط. (١٣٨٤) ن. دار القومية للطباعة

٢٨- تهذيب سنن أبي داود للعلامة ابن القيم على عون المعبود .

٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ط. الثانية (١٤٢٢) ن. مركز صالح بن صالح الثقافي.

٣٠- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض ط. الثانية (١٣٩٥) ن. طبعة الحلبي وشركاه.

٣١- جامع العلوم والحكم زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن رجب ط. بدون ن. دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

٣٢- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله للإمام المحدث أبي عمر يوسف ابن عبد البر النمري ط. (١٣٩٨) ن. دار الباز للنشروالتوزيع.

٣٣- الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السامع الخطيب البغدادي

٣٤- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (هامش عون المعبود)

٣٥- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني تحقيق ودراسة محمد بن ربيع المدخلي ط. الأولى (١٤١١) ن. دار الراية للنشر.

٣٦- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية بكر أبو زيد ط. الأولى (١٤١٠) ن. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ط. الأولى (١٣٩٤) ن . مطبعة السعادة .

٣٨- درء تعرض العقل والنقل لابن تيمية تحقيق د: محمد سالم ط. الأولى (١٤٠٠) ن. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٣٩- رسالة السجزي في أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت للشيخ الإمام الحافظ أبي نصر عبيد الله بن سعيد الوايلي السجزي تحقيق ودراسة محمد باكريم ط. الأولى (١٤١٣) ن. الجامعة الإسلامية .

٤٠- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي بتحقيق وشرح أحمد شاكر ط. الثانية (١٣٩٩) ن. مكتبة دار التراث بالقاهرة

٤١- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي ط. ١٣٩٩هـ.

٤٢- زاد المسير في علم التفسير للإمام جمال الدين الجوزي ط. الأولى (١٤٠٧) ن. دار الفكر

٤٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني.

٤٤- سنن أبي داود على هامش عون المعبود ط. الثالثة (١٣٩٩) ن .المكتبة السلفية

٤٥- سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. بدون ن. دار الفكر

٤٦- سنن الدارمي الحافظ أبو محمد عبدالله الدارمي تخريج وتصحيح وتحقيق السيد عبد الله هاشم يماني ط. (١٣٨٦) ن. شركة الطباعة الفنية.

٤٧- السنن الكبرى للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

٤٨- السنن الكبرى للحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ط. بدون ن. دار الفكر.

٤٩- سير أعلام النبلاء تصنيف الإمام شمس الدين محمد الذهبي أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط ط. الثانية (١٤٠٢) ن. مؤسسة الرسالة.

٥٠- شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبة الله الطبري اللالكائي تحقيق د: أحمد سعد حمدان ط. الأولى ن. دار طيبة للنشر والتوزيع .

٥١- شرح السُّنَّة للإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري تحقيق د. محمد ابن سعيد القحطاني. ط. الأولى (١٤٠٨) ن. دار ابن القيم .

٥٢- شرح السنة للإمام البغوي تحقيق زهير الشاويش و شعيب الأرناؤوط ط. (١٣٩٤) ن. المكتب الإسلامي .

٥٣- شرح العقيدة الطحاوية للعلامة إبن أبي العز الحنفي خرج أحديثها محمد ابن ناصر الألباني ط. (١٣٩٢) ن. المكتب الإسلامي.

٥٤- شرح ديوان المتنبي للواحدي ط. بدون ن. مكتبة مشكاة الإسلامية

٥٥- شرح مسلم للنووي ط. الأولى ن. دار عالم الكتب.

٥٦- الشريعة للإمام المحدث أبي القاسم محمد بن الحسين الآجري حققه وعلق عليه د. عبد الله بن عمر الدميجي ط. الثالثة (١٤٢٨) ن. دار الفضيلة للنشر والتوزيع .

٥٧- شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق محمد السعيد زغلول ط. الأولى (١٤١٠) ن . دار الكتب العلمية ببيروت .

٥٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ابن قيم الجوزية تحرير الحساني حسن عبد الله ط. الثانية ن. مكتبة دار التراث.

٥٩- الشفاء في شمايل صاحب الإصطفاء ﷺ للقاضي عياض.

٦٠- صحيح البخاري على هامش فتح الباري ط. (١٤٠٧) ن. دار المطبعة السلفية.

٦١- صحيح مسلم تحيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. الأولى (١٣٧٤) ن. دار إحياء الكتب العربية.

٦٢- ضوابط فهم السنة النبوية د. عبد الله بن وكيل الشيخ، ضمن ندوة فهم السنة النبوية، المقامة في الرياض، في ١٤٣٠/٦/٤هـ.

٦٣- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ط. بدون ن. دار الباز للنشر والتوزيع.

٦٤- الطبقات الكبرى لابن سعد ط. (١٣٩٨) ن. دار بيروت للطباعة والنشر.

٦٥- العقيدة النظامية لأبي المعالي عبد الملك الجويني تحقيق:محمد الكوثري، ط ١٤١٢هـ، المكتبة الأزهرية.

٦٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية ضبط وتحقيق د.عبد الرحمن محمد عثمان ط. الثالثة (١٣٩٩) ن .المكتبة السلفية.

٦٧- العين والأثر

٦٨- فتح الباري للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ط. (١٤٠٧) ن. دار المطبعة السلفية .

٦٩- الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية دراسة وتحقيق د: حمد التويجري ط. الأولى (١٤٣٠) ن. مكتبة دار المنهاج .

٧٠- فضائل القرآن للفريابي، جعفر بن محمد حسن (ت ٣٠١هـ) ط. ١٤٠٩هـ، ن. مكتبة الرشد.

٧١- فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

٧٢- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ط. ثانية (١٤٢١هـ) ن. دار ابن الجوزي.

٧٣- القاموس المحيط لفيروز أبادي

٧٤- القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم محمد هشام طاهري ط. الأولى(١٤٢٦) ن. دار التوحيد.

٧٥- قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة القيرواني ضمن مجموعة كتب ورسائل عبد المحسن العباد البدر ط. الثانية (١٤٢٨) ن. دار التوحيد للنشر.

٧٦- قواطع الأدلة في الأصول لأبي المظفر السمعاني، ط. ١٤١٨هـ، ن. دار الكتب العلمية.

٧٧- كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم محمد ناصر الدين الألباني ط. الأولى (١٤٠٠) ن . المكتب الإسلامي .

٧٨- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة ط. بدون ن. الدار السلفية.

٧٩- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للهيثمي.

٨٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي البرهان فوري ط.الخامسة (١٤٠١) ن. مؤسسة الرسالة.

٨١- اللباب في تهذيب الأنساب للجزري (ت ٦٣٠هـ) ط. ١٤٠٠، ن. دار صادر.

٨٢- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ط. (١٣٨٨)، ن دار صادر ودار بيروت.

٨٣- لوامع الأنوار البهية الشيخ أحمد السفاريني ط. الثانية (١٤٠٢) ن. مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

٨٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن ابن محمد العاصمي النجدي ط.الأولى (١٣٩٨) طبع بأمر الملك فهد رحمه الله.

٨٥- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ط. بدون ن. دار الفكر.

٨٦- المحور الأول: ضوابط فهم السنة النبوية، د. عبد الله بن وكيل الشيخ .

٨٧- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ط. بدون ن. دار الكتاب العربي ببيروت .

٨٨- مسند الإمام أحمد ط . بدون ن. المكتب الإسلامي ودار صادر .

٨٩- المصنف للحافظ أبي بكر عبدالرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط. الثانية (١٤٠٣) ن. المكتب الإسلامي

٩٠- المعجم الكبير للحافظ الطبراني حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد ط. الثانية (١٤٠٤) ن. مكتبة ابن تيمية.

٩١- معجم فقه السلف عترة وصحابة وتابعين لمحمد بن المنصر الكتاني ط . بدون ن. جامعة أم القرى .

٩٢- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن زكريا تحقيق عبد السلام هارون ط. بدون ن. دار الجيل ببيروت.

٩٣- مفتاح حياة القلوب (٢/٢) مقال لفضيلة د. عمر المقبل منشور على الشبكة العنكبوتية في موقع المسلم بتاريخ ١٤٢٨/٩/٦هـ.

٩٤- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ط. الأولى (١٣٩١) ن. دار القرآن الكريم بالكويت

٩٥- مناقب الإمام الشافعي فخر الدين محمد بن عمر الرازي تحقيق د. أحمد حجازي السقا ط.(١٤٠٦) ن. مكتبة الكليات الأزهرية .

٩٦- منهج السياق في فهم القرآن د. عبد الرحمن بودرع. كتاب الأمة العدد ١١١ محرم ١٤٢٧هـ.

٩٧- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي تخريج عبد الله دراز ن. دار الباز للنشر والتوزيع .

٩٨- الموطأ لإمام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه صححه، ورقمه، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ط. بدون ن. دار إحياء الكتب العربية .

٩٩- الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية د: مفرح القوسي ط. الأولى (١٤٢٣) ن. دار الفضيلة.

١٠٠-ميزان الاعتدال في نقد الرجال أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي تحقيق علي محمد البجاوي ط. الأولى (١٣٨٢) ن . دار البازللنشر والتوزيع

١٠١-ندوة فهم السنة النبوية (الضوابط والإشكالات)

١٠٢-نقض المنطق شيخ الإسلام ابن تيمية تصحيح محمد حامد الفقي ط. بدون ن. مكتبة السنة المحمدية.

١٠٣-النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي ط . الأولى (١٣٨٣) ن. المكتبة الإسلامية

١٠٤- وسطية أهل السنة بين الفِرق د. محمد با كريم ط. الأولى (١٤١٥) ن. دار الراية.